أدونيس

مفرد بصيغة الجمع

(صياغة نهائية)

دار الآداب - بيروت

مفرد بصيغة الجمع

أدونيس

مفرد بصيغة الجمع

(صياغة نهائية)

دار الآداب - بيروت

طبعة جديدة ١٩٨٨

١ ـ تكوين

أ ـ تخطيطات

ـ ١ ـ

لم تكن الأرض جسداً كانت جرحاً
كيف يمكن السفر بين الجسد والجرح
كيف تمكن الإقامة؟
أخذ الجرح يتحوّل إلى أبوين والسؤال يصير فضاءً
أخرجْ إلى الفضاء أيها الطفل

خرج عليّ
يَستصحِبُ
شمسَ البُهلول دفتر أخبارٍ تاريخاً سرياً للموت

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت
لما لا وقت له

يُجْوهِرُ العارض

ويغسل الماء

ابدأ،

اخرجْ إلى الفضاء أيها الطفل

في البدء كان الهباء انفتحت فيه الأشكال والصور

حوّاء تنزل في حوضٍ

تسبح

في

مَنيّ

القمر.

قالت: الجسد الحروفُ والدّم الكتابة

سلاماً أيتها النخلة يا أختي

سلاماً أيها العالم يا مَأْلُوهي

اخرجْ إلى الفضاء أيها الطفل

سَمَّى شقّق الكلام

لكنّ أسماءه غامضة

(هل الإشارة إليها عَسِرةٌ؟ هل العيان مكفوفُ عنها؟)
بأيّ شيءٍ ينعت الأرض؟
بأيّ شيء يذكرها ويحكيها؟ تَلَابسا تدَاخلا
علواً وسُفلاً
تعريجاً واستقامةً
وقال:
مشرقي عليكِ أطيب من اليأس
وتصدّعَ طرباً.

أمّا كيف ولِمَ وما هو
فأسئلةٌ
تطير
في
الرياح.

اخرجْ إلى الأرض أيها الطفل
خرج العاشق إلى عشيقته يجامعها للمرة الأولى
ظننتُ أنني أكتب وأقرأ

الرجل يفقد الرجولة/المرأة لم تصبح امرأة

المرأة سلالةٌ مضت/الرجل نَسْلٌ يأتي
وأنت امنحيني اللغة، باركيني، أيتها الأم/أيتها الطبيعة المومس

اخرجْ إلى الأرض أيها الطفل
خرج
هبط من الحرف
١ ح د = د ح ١ ⇐ الأرضَ
دائماً يصنع طريقاً لا تقود إلى مكان

ا ن ا
منفيَّة بقوَّة الحضور
كالهواء
وهي هي
كل شيءٍ يتغير وتبقى
ا ن ا = ا ن ا
هكذا يستقبلك أيّتها الأرض امرأةً
ويُفجّج بين فخذيكِ.

- ٢ -

[. . . وكانت الأرض
تتحرّك بلونٍ أغبر أدكن ليظهر النور ويتمكن الحيوان من النظر
واقفةً في الوسط
كترابٍ أُلقيَ في قارورة
أو تِبْنٍ في طَشْتٍ مليء بالماء
هاربةً

من

الفلك

إلى

ذاتها ←

وانتصَب ابنها في الهواء
مركزاً لأشعَّة المحيطات
ملاكاً في العلم والكشف
لا حياً كالعشب
لا مملوكاً كالزّرع
حيٌ كنفسه
مالكٌ ملكه الأرض والسماء
أحياناً

شَعره النبات
جسده الأقاليم
عروقه الأنهار
ويداه جناحان يمشي بهما في الفضاء
ظاهرهُ بَرٌّ   باطنه بحرٌ
أو
كما
قيل (...)]

اخرج إلى الأرض أيّها الطفل.

- ٣ -

تهيأي أيّتها العناصر   استجيبي أيّتها المادّة

إنه المصادَفةُ

خارجةً من الحدّ

عاليةً على حصْر الدّهر

أعضاؤه تجنح إلى التخيّل

ووجهه مخلوطٌ بالوهم.

ثمّة قمرٌ يميل إلى الشمال

والظلّ يتلاشى

ينقل أخبار سَعْدٍ الذّابح

وَشاتِه التي ينحرها على قَرن الجدْي

يَنقل أخبار الثلاثة الكواكب على آخر بطن الحَمل

والكوكب الذي في المنكب الأيسر

وساكب الماء

والذي على سُرَّة الفرس

وبطن الحوت فوق الميزان

من المرأة المُسَلْسَلة

التي

لم

تعرف

زوجاً

وينقل أخبار كوكب الغراب.

اخرج إلى الأرض أيها الطفل.

ضيقي، أيتها البروج من ناحية القطبين اتّسعي في الوسط

ولكَ أنتَ

أيها الفَلَكُ، حدّان:

نهايةٌ لما تصير إليه الطَّبائع

وشكلٌ مستديرٌ يحيط بالأشكالِ كلِّها

بِسُكناه حيث تستوي ساعات نهاره وليله

ويُشرف على القطبين

يغمره غَوْرٌ كالقبَّة المنخرطة

يرتفع منه سحابٌ

تترادف عليه ثلوجُ

ويخرج من أسافلهِ ماءٌ ذَهَبٌ

وربّما خرج ما يثير الغبار

والنباتَ

والهشيم

ثم يستطيلُ

يتوّهم أنه أمكنةٌ وأزمنة

وربّما خرج رملٌ أحمر
وأشباحٌ
وتلهُّبُ نيرانٍ
وأنواعُ
صَنْعَةٍ
وسيمياء.

ب ـ فواصل

ـ ١ ـ

١ ـ «كثيراً حَبَس الخالقُ الشمس والقمرُ تأديباً
كان حين يتوبان
ويَسْتأذنان
بالشروق
يأتي إليهما مَلاكٌ يأخذ بآذانهما ويطلعهما
من
باب
التوبة».

٢ ـ «كان الخالق حين يُخرج أنثى إلى الأرض
يبعث إليها ملاكين
يضع الأول يده
بين ثدييها
يضع الثاني يده

في مكانٍ آخر،
حين يتعب المكان
يحملانها إلى ظلٍّ
تحت
شجرة
المحنة».

٣ ـ «أمر الخالق ما يسمونه الوطن أن يجلس
على
كرسيٍّ
من
الزجاج
بهيئة
السّرطان
وحوله تماثيل...»

- ٢ -

رقعة من دفتر أخبار ←

«... هكذا

عرفت الأنثى نفسها عرف الذكر

يجتمعان بشهوة اللحم والعظم لإيداع الماء في بيته

يندفع الماء ← يكون له

سمعٌ يمتلىء بتعويجات الصوت

أظافرُ تهدي إلى مواضع الحكّ

رئةٌ مروحةٌ لحرارة القلب

عِظامٌ أوتادٌ لجرٍّ الحركة

رقبةٌ برْجٌ من الخَرَز

ليطول ذكر الحكمة.»

- ٣ -

رقعة من شمس البهلول

«. . . هكذا

يكلّمني كرسيٌّ ليس بيني وبينه ترجمان

عند الكرسيّ حوضُ

عند الحوض ميزان

حول الميزان بقرةٌ غمامَةٌ

والكتب تتطاير

هنا

[. . . ينبت الناس كما ينبتُ الحَبُّ في السَّيل إذا اشتهى الإنسان طائراً

سقط بين يديه مَشْوياً بعد أن يشبع تتجمَّع عظام الطائر وينهض ليرعى

هنا

أشجارٌ تخرج من أوراقها ثيابٌ لا تبلى

سحائبُ لا يسألها الإنسان شيئاً إلا أمطرته

بعضهم يقول

أمطرينا

نساءً

فتمطر ويدخل الرجل في المرأة

دَحْماً ⇔ دَحْماً

إذا قام عنها رجعت مطهّرة بكراً.

. . . فجأةً

ظهر في الجهة الثانية هنالك

عنقٌ من النار يتكلم

كان رجلٌ وامرأةٌ يتّجهان نحوه رأيت النار تنقبض وتشهق
وقيل: هذه نارٌ ضُربت بالبحر مرّتين لولا ذلك لم تكن
فيها منفعة لأحد

وسمعت من يقول: خلّص اللّبن من الماء ثم غاب
صوته كأنه يسدّ ثقباً في جرْم الكون رأيت شخصاً خارجاً
من النار يجرّ لحمه كما تجرُّ المرأة ثوبها رأيت سحابةً
تنادي أهلها:

ـ ماذا تطلبون؟

ـ ماءً ماءً

لكنّ السحابة تمطرهم سلاسل وجمراً وقيلَ: لهؤلاء
طعامٌ لا يدخل المعدة لا يعود إلى الفم يبقى بين
الحلقوم والمعدة

ورأيت سجناً يقال له **موسى** وقيل **بولس** وقيل
مصطفى
فيه أشخاصٌ يبكون تسيل عيونهم جداولَ رأيت
مراكبَ ←
تجري
فيها...]

- ٤ -

رقعة من تاريخ سرِّيٍّ للموت ←

يستعير يبتكر حكاياتٍ يجرح كواحلَها

ويتابع خيط الدم ينظر إلى الزمن يتحطم بين يديه

إلى المكان يتوشّح بحطامه

يلتفت وراءه

أَنصابٌ وتماثيل تحمل حروفاً

أ و ر ف ي و س

أ د و ن ي س

يتحقّق أنها نظائره وأسماؤه

من

السّيمياء

والشرق.

ج ـ استطرادات

١ ـ استطراد أول

الوقت بين أُرُومـةِ الجسد وفوهةِ الفعل   المكان بين
صخرةٍ تسكر وموجٍ يهيّىء الساعة

وأنتِ، أيتها النار المسرعة، أَبطئي أَبطئـــي
أنا الطريق والعابر، المرأى والرَّائي
ولست أحظى بنفسي.
وأنتَ (أقصد وقتي الأول) بنفسجٌ
تتدرَّج بين زرقة الموت وزرقة قصَّابين
تحلم دائماً تحلم

وتدور في دوّامات العين الثالثة
غُلوميَّة القمر   توحشيَّة اليمامة

تصنع من ورق التبغ سجَّادةً حيث يتكوّم الليل ويسهر على المصطبة
تنام بين نهدين
وردةٍ ذبلت، ووردةٍ تكاد أن تذبل...

٢ ـ استطراد ثانٍ

أَعْطِ للأرض أن ترقد في راحتيك وأيقظْ قصابين
ينهض منها ضوءٌ يوقظ قدميه ويداعب جبينه الذي سمَّاه علياً

أنهضُ
أتَسرْولُ شتَلاتِ التبغ أرسمُ قمري على أوراقها
وأصغي لأصواتٍ ليست مني لكنها لي هكذا أرى إلى
الهواء يخرج من الشجر حاملاً قواربَ تتأرجحُ وتهوي

وحين تتعب ريشة الليل
ويشرب الفجر حليبه
تدخل الشمس
والبيت
في
فراشٍ واحد

افهمْني، أيها البيت المليء بأجنحة السنونو واقبلْ قِسْمةَ
الرّيح.

رجلٌ وامرأة يقتسمان الحزن   حزنٌ يفصل بين الهدْب والهدْب   لكن في الأغصان التي لا تتّسع حتى للظلّ يفتح الدروب رجلٌ

عرف، بعد أن مات، أنه صديقه الأول.

الجمعة   ينتهي باكراً من العمل   يسير بين أشجار الزيتون خفيفاً يتكىء على ظلالها   لم ينحنِ إلا ليحتضن ما لا يَنْحني   لذلك لم يغفر له السلطان   لذلك لم تقتنع به القرية إلا بعد أن مات

بعد أن مات،

عرفتُ أشجاراً لا تزال تصغي إلى زفيره
عرفتُ أمكنةً تسقف الزمن بشرارتٍ خضراء سمّاها
ها هو
يضع صلواته بين راحتيه ويمشي كأنه هَيْدبُ الأفق.
العشب رفيق خطواته ولا يحيط به غير القشّ وحين يواكب الشمس وهي تطفىء موقدها، يبدو شراعاً خرج من اللجّة ولا مرفأ له   السماء شطآنه وأمواجه   من الأفق يخرج إلى

الأفق   وليس له أن يطبق جناحيه.

قالوا: «كان يحمل عصاً تضيء له الطريق   وحين يعود إلى البيت ينزل من قوس قُزح كأنه ينزل على درج».

قالوا: مرةً وصف قدميه: «لم أمش بهما إلى باب سلطان».

وحين أخذه الموت بكت عريشةٌ أمام بيته ووضعت قصّابين خدّها على الأرض.

قالوا: «تتجمَّع حول قبره، في آناء الليل، أصوات تهتف وتنوح كثيراً ما يسمعهنّ عابرٌ يظنّ أنها أصوات نساءٍ يُفتَتنُ ويميل ويشتهي إذا اقترب سمع أشجاراً وحجارة...».

كان لي معه أن أكتبَ الرّيح، أقرأ شيخوخة الحجر   كان لي أن أرفع الحلم سقفاً وأتزوج الحياة لوناً لوناً

كان لي أن أتشمَّل الزمن وأرسمَه

بأهدابٍ

تتدلّى
منها
أياميَ
أجراساً
أجراساً

أضحك مع نهارٍ لم يأت
وأعقد أحلافاً مع تاريخٍ آخر.

٣ ـ استطراد ثالث

لأبي عباس المختار وجه زيتونة **للدركيّ** قلب عوسجة وبكى **عبّاس** مرة حين كاد النهر أن يغلب **علياً** ويأخذه السيل إلى نهاياته لم يكن لوجه أُمه أن يوقف المطر لم يكن لصوتها أن يروِّضَ الرَّعد.

عالياً، هاجر الحزن
تائهاً، هَرْولَ الفجر ونشر مصابيحه
وها هو التعب
يجلس على العتبة يتقوَّس عُكازٌ
بين قدميه سَدٌّ بين عينيه يتحدَّث
ترسو تجاعيده في بئر كلماته صوته
الوترُ يوقِّع المكان شرودُه الجمر يُنضج
المسافة وتنزف يداه إشاراتٍ
وتنزف الإشارات الملحَ وما يشبه نشوة الموج.

ونظر إلى القمر يتدحرج مقطوع الأطراف
والنساء
يجلسن باسمه

شموعاً تترنَّح

وتخبو

وليس بين الثياب والبَشرة إلا

شَفْرةُ

الجنس.

٤ ـ استطراد رابع

. . . مرَّةً وُلِد له تاريخٌ في خيمةٍ بشكل الذاكرة
عاشرَ طيفاً تزوجه ولم يعرف أنه الصحراء
وليس للبحر سلطانٌ عليه
وليس للشمس حوله إلا الدَّمع
اخرج إلى ← التاريخ
أيها الطفل

يخرج
للشمس نكهة امرأةٍ تهجر بيتها   للسماء هيئة الجوع

اكْتَأَب تأوَّه اكفهرَّ بكى
وفُوجِىء بالغيم
يكتئب يتأوَّه يكفهرُّ يبكي
وحين أحسَّ بالتراب الذي أَوْحَل يمتدّ أمامه بساطاً من زغبٍ
لم يألفه خلع حذاءَهُ ليكون أكثر التصاقاً بطينته الأولى
رَمَّم أسماله وآلف بينها وبين صَرْصرٍ
تنشطر من الجبل الأقرع

يتنشَّق فيها رائحة اللاذقية وأنطاكية ويدخل
معها في لألآء المسافات
مرئياً
غير مرئي
يصعد من فوهة الغسق
ويحاكم الشمس.

ها هو الظلام
يَرْهلُ وتنفتقُ خواصرهُ
ولم يطلب مَشورةً لم يسأل نجماً
ترافقه الأجنحة/لم يُخلق الفضاء
ترافقه الشواطىء/ ليس في البحار ما يروي
وها هو رتاج العالم
يُصلصِلُ
أمامه
ويَنأى...

٥ ـ استطراد خامس

تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة **قصابين**
نتعلم كيف نسجن السماء في كتاب كيف نهجر العلم
ونهرب يدفعنا بياض الورق تحرسنا بقع الحبر

رأينا مخابزَ تحمل رؤوس الجبال أيّاماً تتدثر بالنخيل
تمشي بأرجل البَقْل وبين الخطْميّ والخردل يعلو لغطٌ حول
هرب امرأةٍ أو جنازة عاشق

فجأةً

يجيء المطر في شهقاتٍ تضرب النوافذ تتحوَّل البيوت
إلى تلالٍ يكون للغيوم أسنانٌ للقمر أظافر وتتناثر من
دفاتر النبات حروف تَرْقُم نبْض الرِّيح.

لكن
ماذا تتذكر الحروفُ
ماذا تحفظ الرّيح؟

تخرج فراشةٌ تدخل
فراشة والمسرح بهيئة الطفولة
مَن ِ الطفلُ يرشق السماء بالحصى؟ مَن ِ الطفل يصطاد

الأفق بشبكة الدمع؟
وأنتَ أيها الشيخ
الفاتح صدره علواً يسعُ الجبال
عَلّمنا
ماذا تقول للفضاء حين تهجره العصافير
للتراب حين يأتزر بالشوك؟

تخرج فراشةُ تدخل فراشة والمسرح بهيئة قصابين إنّها ساعة اللقاء بين الزرع والحصاد بين شطيرة الحلم وصحن الأيام.
شمعةً شمعةً تشتعل الجبال جَرَساً جَرَساً
تستيقظ السهول إنها ساعة الدخول في فَرْو التعب حيث يسير الهواء على قوائم أربع
ويكون للزمن وجه الصّلصال

تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة السَّفَر
ليكنْ للقدمين شكل الأفلاك للذراعين شكل الفصول

السماء تفكّ خلاخيلها   تجلس وتشمّ رائحة قدميها
وأمواج الدَّم تتلاطمُ وتتدفّع ←

تفجّرْ أيها السدّ المسمّى تاريخاً   تفجَّر أيضاً وأيضاً
تكاد النسور أن تترك عادة الأوج   تكاد الغيوم أن تترك عادة
المطر

هكذا خرجنا

قلنا أيها المربَّع المستطيل المثلَّث   الفَلكُ يقرن وجهه
بوجوهنا   وها   نحن   نتهجَّى دوائر   الأثير   وبينما   ترقد
المرارات

ويرقد الخنشارُ وجارُ النهرِ   الخشخاشُ وموجه وترقد
الجداول

يتصاعد عطر خطواتنا هبوباً هبوباً   وها هي **قصابين** تأخذ
طَلْعة المدّ وتمتلك جذع الموج

اخرج إلى الأرض أيها الطفل

تقدّمي أيتها الأفخاذ النحيلة
وأنتِ أيتها السواعد المتغضّنة
أيتها التجاعيدُ
أنتِ
من
يكوّن
الأرض.

II - تاریخ

- ١ -

لم تكن الأرض جسداً   كانت جرحاً   كيف يمكن السفر
بين الجسد والجرح كيف تمكن الإقامة؟

أخذ الجرح يتحوّل إلى وطن والسؤال يصير تأريخاً
اخرج أيها الطفل ←

خرج عليّ
يرسم حقل خطواته   سنابلَ   شجراً   ينابيع تلاحقه روح
غابةٍ

هنا
أرضٌ نعرفها نجهلها ميتة حبلى
هل تعرف قصباً يتمرَّد على المواقد؟
هل تعرف مشاعل ترقص في بحيرة الدمع؟
هل رأيت رؤوساً تتوِّجها رؤوس؟
قناديل من قلوب كستنائية؟
وحلاً لطهارة السماء؟

هل رأيت الدم الذي انهمر من جرح العاشق

وجمد في الورد وشقائق النعمان؟
هل رأيت آثارهم ← ساروا نحو السماء
نزلوا وادياً أتاهم السيل حملهم
جميعاً وألقاهم في البحر ←
خرج **عليّ**
... تناسلي يا سلالتي في خطايَ أنا الطالع من لوعة
الرَّفض تُهجِّج عيناي خارج عينيَّ وأسكر بأشلائي

أنا الطفل يستنجد الفراشات
أنا الموزَّع بين **زُحلٍ والزهرة وعُطارد**
زحلٌ يهيء التمني **عطارد** يهيء الشعر
وتهيء **الزهرة** رطوبة الشبق
متى يجود مكان **عطارد** من الفلك ليجودَ شعري؟
متى يقْوى حال **زحل** لأقوى على ما أريد؟ .
متى تنتعش **الزُّهرة** لتميل إليّ القلوب
وكيف أتكلم كلامَ النمل وأُصيب
أصبح بين الجنون والسحر
أحارب جميع الحروب
أعشق جميع العشق

تَسْتَبسِلُ الجوارح ربَّما بكت ربما شهقت ربّما
تحيرت ربما وَلهت ربما زالت عن مدارها

تجلس الكآبة على كرسيٍّ يسع الهواء والتراب
ويجري دم الولادة في حوضٍ تحرسه الشجرة العانس
هكذا
أتحوَّل إلى بحيرةٍ تنبجس من البحيرة نارٌ تضيء لها أعناق
الشجر ولا وَعْدَ لي
وعديَ الهبوطُ
الهبوطُ
والمرارات.

- ٢ -

قلتُ: أبدأ فصل العناكب ← تمسح أرجلَها بمخمل الشمس
وَشْوِشْ قدَميّ أيها البذار الوحشي
تَمْتِم تآبينكَ في أذنيَّ أيها الرعد
الصاعق يُقبل في قَدَمَيْ طفلٍ
وفي تخاريم الريح يرتسم الهول

. . . ظِلاًّ يضرب في براري أحشائي وليس لي سلاحٌ إلا
نبضٌ يتغرغر بمائه يهدمني هيكلٌ قال إنه صَداي يَصعقني
وجهٌ قال إنه وجهيَ الآخر.

وقلت: الحنينُ يُحتضر والشهوة سريرٌ من الدخان
وأقول: تَرجَّلْ أيها الليلُ عن صهواتكَ اغتصبْ شمس
كلماتي

أنا الصوت يرتجلُ الفضاء
أنا الحجر يتطوَّح وقَرارُه الحجر.

وأقول: رِشّني أيها التولّه أَنِّسْني، جَدِّدني، سِمْني
وأنتِ، أيتها المجاهيل تَطاوَحي فيَّ الْطُفي عن الوَهَمْ
استغيثي من الشكل والضدّ بالشّكل والضد

هكذا أذُوقُكِ

أتَّقد بوسواسي وأغوص في دهشة الغواية
تَتَهوْدَجُ أيامي رمزاً رمزاً
أصرخُ ←
تَاهَ وهميَ
اتَّسع معناي
وغالتْنيَ الأقاصي.

- ٣ -

رقعة من شمس البهلول ←

... تحت بَشرتِه شياطين لا تُحصى كلّ شيطان يبتكر طريقاً طرق الخارج تقصر عنه ودون قدميه والداخل لا يتّسع له وليس في رأسه غير الأضواء.

يَنجرح
يتخذ من جراحه آلاتٍ لحفر الأعماق ويسأل
كيف يخرج وليس له خارج جسده إلا جسده؟

وليس للبحر سلطانٌ عليه
وليس للشمس حوله إلا الدّمع.

رقعة من دفتر أخبار ←

. . . يجيء من نقطةٍ أبعد من بحرهِ وصِحرائه   جاورَ
الفلك وعرشَه   الماءَ وعرشه   وكان عرشهُ على الرّفض.
جسده وارثُ البراكين دمهُ وارث الفتك
. . . ممزوجاً بالعصور
يتأرجح
بين
الشفرة
والجرح
ويلبس أُبّهةَ الأزمنة

يسأله جناحُ تكتبه حصاةٌ
وعند حائط الحلم تقتتل أيامه.

- ٥ -

رقعة من تاريخ سريٍّ للموت ←

... هكذا خرجَ يَتَمعْدَنُ

ويَفتح جسده على العناصر

يكتشف للحجر نوافذَ كُتباً وأصواتاً يستشعر أنَّ للسمآء مصباحاً أنّ المصباح كوكبٌ لا يقرأ غير الرمل يَسْتَشِفُّ أظافرَ تأخذ مكان النجوم ولائمَ يجلس حولها التراب.

يَنحدر من جنس المذبوحين

ويؤسّس

الرَّحيل

الأقصى.

- ٦ -

رقعة من دفتر أخبار ←

. . . لم تكن أمّهُ تعرف اللغة وهي التي علّمته الكلام
حين جرى الكلام بين شفتيه التهبَ مكان الحنين وخرجت
الشهوة من أصابعه

أخذ عليّ
يتدلّى تحت صورة جدْي يجلس على صدر **العذراء**
جاور نجمةً بين **الثور والحمل** عانق نجمةً تسبح في ماء الدلو

وكانت امرأة
مُسَلسلةٌ
لا تعرف رجلاً تَتدفأ بِمَتْنِ الفَرس **الأعظم** والشمس في
أول القوس.

برِدَى ١٩٥١ ← يسبقه التعب إلى المقهى

في حنجرته حصىً يتجمّع
باقٍ ذاهبُ شيءٌ ما يشتّته يخرطه في سِلك اللّهب ←

القصّاع ← الصالحية

المطر يبحر بين كتفيه يتجه نحو **قاسيون** ما أسعد غواياته يصل بين ضِفتي بردى ومقهى **الهافانا** ويقول **لقاسيون**: اعقُدِ الخيط.

... هكذا سكن في جرحٍ بين **العراق والشام** بين ريحٍ تُنَمْنِمُ الترابَ ومطرٍ يغسل الريح تحمله أسطورة يتجعَّد ويمحو تجاعيدَها

رأسُهُ
نخيلٌ
وضحضاحٌ من الحلم يسبح في أهدابه.

سكنت معه أنهارٌ تسائل الناس ماذا يفعل النخل بين بيسان والبصرة ماذا تفعل البحيرة؟

وكان، كلما حنَّ، يلبس الخشبة ويفتح الأفق أمامه نورٌ يمشي جَبلٌ فوقه يسير كالمظلة حَجرٌ ويشبه الدمع.

رغيفٌ ولا بيتَ له

جرَسٌ
يَنوسُ

في
عُنق...
الأرض.

ترافقه نجمة
تدخل في جسد الغبار ويدخل في جسد الريح... قَرْناً
يكاد
أن
ينكسر
في
خاصرة
الرّيح.

رقعة من تاريخ سري للموت ←

كانت الأرض دماً يمتزج بغبار الطَّلع   يَتجنْسنُ بين فخذيها التاريخ والزمن يتذكر ويتأنث كان التاريخ جدولاً تشعْشَعت أيامه   ولم تكن الكتب أوراقاً   كانت آباراً تمتلىء بأصواتٍ تتسابق نحو طُرقٍ تتخاصم حولها السماوات   ولم يتعلّم شيئاً

هل الحياة أن نجهل وننسى؟

يعصاه فكره   تنقلب عليه حتى أحزانه
الحياة في الجهةِ
الأخرى من الضّفاف التي يتجرجر عليها
والأفق ينكسر أمامه كدورق الخمر
كيف يخلق فراغات أخرى ليتقدمْ
كيف يعطي مكاناً لما يهمٌّ أن يولد بين عينيه؟

وصرخ ←

أيتها المدن العربية التي تتدحرج في غسق
اللّغة
أتدحرج
معكِ
لا لأتذَّكر لأرى كيف تتمزَّق على الجسد القديم ثيابه
الأخيرة

. . . وثمة شقوق تتسع في جدرانٍ لا تزال تنتسب لبيت
جسده يتسلل منها الدم ويندفع أُرْغناً أُرْغناً.

وتوجَّس واستبطن
إنه الوَلهُ يضع يده عليّ
إنها الريح تمنحني حقوق الغبار.

- ٨ -

- من أنتَ؟

أمحو وجهي　　　　أكتشف وجهي

- ...

جسدٌ تقمَّص الشظايا يتّجه إلى أن يتقمص الموج

ينشطر فيه العالم يَلْتَئِم

يعطي وقتاً لما يجيء قبل الوقت لما لا وقت له

بجوهر العارض ويغسل الماء

اقتربي أيتها الرياح

اجتمعي إليّ

أخلق بك

أخلق منكِ ←

ها هي الصورة التي سأخلق على مثالها

وهذه قبضتي.

- ٩ -

العمل يصعد

من الأرض إلى اليد من اليد إلى التاريخ

من التأريخ إلى هباء البدايات

هل رأيتَ الزمن

يمسك بإحدى يديه صاعقةً يمسك بالثانية مترسةً

وتلهو الطواحين

طواحين الأسنان

الغلمان

القيان

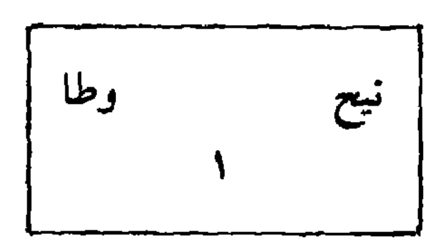
الريح والروح

القصب والعَصب

الحنين والخنين

دوري أيتها الطواحين دوري في كرسيّك المهرّج المحيط

بالكون



أقول ذلك لأنّ غباري يكاد أن يَسبُرَ الشمس ورأسي يكاد

أن يتدلى

في

حبلٍ

يتدلّى

أقول ذلك لأنَّ فراشةً رفرفت على يديّ قبل أن تحترق

ابتسمْ ابتسمْ

قبل أن تجيء الساعات لكي تُكوكِب الفراغ

قبل أن يخيط الظلام أهداب الوقت

ازدهرْ ازدهرْ

قبل أن يتعب العشب في الجهة المنسيّة من التراب

قبل أن يدخل الليل في عروقك

وينسى

طريق

الخروج.

- ١٠ -

هكذا بعد الصيحة التي أخذت الممالك حيث بادت بالريح العقيم وتبلبلت من الدَّهَش الألسنة حرَّشتُ بين الزمن وخطواتي

وبنيت على أُسٍّ الدهر ←

كنتُ

أ ـ الهيكل الأول

[. . . فيه صورة لزحل

أسودَ

شائباً

يحمل فأساً

وصورة تنظر في العلوم الخفيّة وكان

طفلٌ وأبٌ وأمٌ

يرقصون

ويحترقون

قرباناً.

وكان مكتوباً:

جلس السلطان قال

أعِدُ بميلاد كوكبٍ آخر

سار السلطان سأل هل يتوقّف الموج؟ همس لصولجانه

أذنتُ للورد أن يذبل

ووثقتُ بدورة الفصول...

وكنتُ

ب ـ الهيكل الثاني

فيه امرأة عذراء (جامَعَها سدنةُ الهيكل واحداً

واحداً حملت ووضعت صبياً).

رأيت الصبيَّ بين ذراعيها

ينخسونه بالإبر حتى يموت

قرباناً

وكان مكتوباً:

يجلس على أريكةٍ قرب المذبح

من أعمدة قصره من الأشجار المحيطة تتدلّى

هياكل

بشريَّة
رؤوسُها
إلى
الأرض

يأمر

اجمعوا حطب الجبال والنواحي كدّسوه قباباً ومنـائر ومنابر على جوانب الأودية والتلال اجمعوا النفط ومن يلعبون به اعملوا من الشموع ما لا يُحصى صيدوا الغربان كلّها وما ترون من الطيور اجعلوا في أرجلها النفط أرسلوها لتطير في الهواء ليصير الفضاء كله ناراً

ولن يجسر أحد أن يكلمه
سيقال: اعتراه الجنون و/أو
يوجعه قلبه...

وكان له وحده
البحرُ وخزائن الريح وها هي الفِيَلة تسجد له وحده برؤوسها وخراطيمها

انظروا إليها

ما أعظم أجسامها ما أعمق معرفتها ما أحسن طاعتها

وقبولها الرياضات

وفهمها المرادات

وتمييزها

بين من يجب أن يُعصَى ومن يجب أن يُطاع

(ليت الفيل لم يكن هندياً وكان. . .)

وكان مكتوباً:

ـ من أنتِ أيتها الدابّة؟

ـ أنا الجسَّاسة أخرج

في

آخر

الزمانَ

وكان مكتوباً:

الزَّمن فُتُورٌ وتَسْويف.

وكنت

ج ـ الهيكل الثالث

. . . ناسٌ عليهم التيجان والحليّ بأيديهم مجامر العود والندّ سمعت صلاتهم ← أيها النيِّر الأعظم حارق النور

المحترقُ به قدَّمنا إليك هذه المرأة الشبيهة بك تَقَّبلْ قربانَنا

وكان مكتوباً

في السنة (...) للميلاد أو للهجرة يُغسل الجسد بالدمع وَتُغْسَلُ الأزمنة لكن، بأي شيء يُغسل الدمع؟

وكان مكتوباً:

سترون قوس قزح

يتساقط شعره ويهرم

(انسوا كيف يبتدىء ومن أين)

وكان مكتوباً:

سترون الجسدَ **يهجمُ** كوحيد القرن
الأفقَ يجيء كالمصادفة
الطّريقَ تنزفُ كالجرح
سترون الرّعب يُغيِّر هيئةَ العشب
يحسبه السلطان ثائراً يجلده يقطع أطرافه يبعثر أشلاءه
ثم يؤذِّن له الفضاء ويكبِّر الغيم

سترون:

أَيَّامُ السُّرور لَمْحٌ   وأيام الحزن لا تَنْتَهي

وكان مكتوباً:

في السنة (. . .) للميلاد أو للهجرة

يُفتي الفقهاء ← يُصلب الشلمغاني ويُحرق

يكون من مذهبه:

أ ـ الله يحلّ في كلّ شيء

ب ـ خَلَق الضدَّ ليدلَّ على المضدود

حلَّ في آدم وفي إبليس

ج ـ الضدّ أقرب إلى الشيء من شبيهه

د ـ الله في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه

هـ الله اسمٌ لمعنى

و ـ من احتاج الناس إليه فهو إلّه   لهذا المعنى يستوجب كلّ أحَدٍ أن يُسمّى إلّهاً

ز ـ مَلاكُ مَنْ مَلَكَ نفسَه وعرف الحق

ويقول الشلمغاني ←

اتركوا الصلاة والصيام وبقية العبادات

لا تتناكحوا بعقد

أبيحوا الفروج

للإنسان أن يجامع من يشاء

ويقول **الشلمغاني** ←

اقرأوا كتابي ـ الحاسّة السادسة في إبطال الشرائع

الجنة أن تعرفوني

النار أن تجهلوني. . .]

- ١١ -

بعد الأطفال الَّذين قُتلوا أمس

غنّى التاريخ

رَقد هانئاً وراء رصاصة وراء رأسٍ مصلوب وزَرع

يقطيناً

غداً

يتحول إلى سمكةٍ يقتلها رمحٌ قبل الفجر

يأكُلهاطفل جائع

لا أتخيّلُ

أيتها المياهُ السوداء العميقة لا أتخيَّل لا أكتب

أنا العالم ـ مكتوباً

وأهدابي تهيمن على الأرض

هذا

أُخرج قصائدي من طين خطواتي

أرجم الزمن بأحوالي

وأصرخ: أنا المعنى

حياتي لبوسُ أحلامي
وأشعر أنّي الموت
إلا لمحةً إلا خطوةً

لا المجرى يأخذني
لا القرار يَسْتبقيني
أنا التموّج
جَدلٌ بين الماء ونفسه

أسراري لِيأسي وحده
ويأسي بلا قرار
كأنه الرجاء كأنه التحول
وها هي نجمةٌ تدخل في صدري
أنا سماءٌ وأتكلّم لغة الأرض
النجوم الأخرى التي بقيت في حنجرتي
لا تزال تائهةً تبحث عن نشيدٍ آخر
عرشُه على الماء

والموج حروفه ونبواءته ←
ألف باء : «إن وجدوا كتاباً لا يقول قولهم أحرقوه

إن وجدوا رجلاً وامرأةً سألوه: من هي؟
وربما ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة،
وشهدوا عليه بالفاحشة...».

ألف سين : «تباع الدور والعقارات بالخبز، ويدفن
الجماعة في قبر واحد».

ألف ضاد : **«تخرج النساء عشرين وعشرا،**
يمسك بعضهن ببعض
يصحن: الجوع، الجوع
تسقط الواحدة بعد الواحدة ميتة...»

ألف ياء : نضجنا، أيها العصر أنت الزمن الطبيعي
لسقوطنا
نضجتَ أيها العصر نحن الزمن الطبيعي
لسقوطك.

وكان مكتوباً ← «أُصبح وأنا لا آمل أن أُمسي
أُمسي وأنا لا آمل أن أُصبح
هكذا
ينزجر نصفي، ونصفي الآخر لا ينزجر
وأتقدَّم كأنني أتأخر
كسرطانٍ مذعور...»

- ١٢ -

اسْتهلِكْ حشودَك، أيها التاريخ
وحّدِ الجسدَ والقشّ
العينَ والحصاة
واكتبْ:
لا تزال جنيناً أيها الوطن
لا تزال نطفةً أيها الشاعر.

اسْتهلكْ حشودك أيها التاريخ،
أسميكَ جَديساً وأقول سارت إليك الينابيع
أسميك يَمامَةً أناديها: أيها الإثمد، وأقول للناس اكتحلوا.
وأشير إليك: اصلبوه!
أعرفك←

[أنتَ مُعافى وأنا مُبتلى
العافية لا تدعك أن تسهر
والبلاءُ لا يدعني أن أنام

وتكون الزُّهرة أعطتني الشَّبَقَ
ويكون المشتري أعطاني العِلم
وعطارد الصنّعةَ ودقّتَها
وتكون الشمس أعطتني جسدي

وأنتَ افهمني، أيها الضائع، أيها الشجرة المنكوسة،
يا شبيهي.

وحين تفرَّغتُ لك
ملأتَ يديَّ عملاً ولم تملأ صدري غِنًى

أنا الإناءُ مملوءاً بك
لن أموت لكنني سأنكسر
أرتقب زلزلةً وخسفاً
ريحاً حمراء
ناراً تخرج من حشْدٍ أحمر
يمـر بـالخـربـة، يقـول لهـا: أُخـرجي كنوزكِ

تخرج تتبعه كيعاسيب النحل
ثم يمرّ أوائلهم على البحيرة يشربون ما فيها
وَيمرّ أواخرهم يقولون: كان، مرّةً، ماءٌ في هذه البحيرة
ثم يحرقون أسلحتهم
ينزل مَطَرٌ يقولون بعده للأرض: أُنبتي ثمارك
يومئذٍ، تأكل الجماعة كلّها من شجرةٍ واحدة
من رغيفٍ واحد...]

- ١٣ -

خرجت الكواكب ترعى
بسط البحر يديه
مدّت الغابة أعناقها
لا الأعشاب ذبلت
لا السمكة استجابت
لا العصفور خاف
وللنهار قميصٌ يمزّقه الليل.

إنها ساعة الأرق الذي يحكم الأرض
العذاب رائحة العصر
ودم الحيوان يتجمّد بطيئاً بطيئاً

اتركوا للشجر أن يتبادل العصافير
اتركوا للنوافذ أن تحتفل بفجر آخر،

ننظر إلى العصر يتحطَّم بين أيدينا

إلى المكان يتوشَّح بحطامه
تنهض من الحطام أزمنة ثانية
حيث تتموّج الجموع
تمزج السّعالَ بالجنّة
والخبزَ بهالة الملائكة

ونعرف أنها جموعنا
تُوحِّد بين اليد والوقت
وتقود الطوفان
فجرُها الكلامُ يتبلَّل بالضوء
وجهها الحدّ يقطع السواد
إنها الشروع لا الذاكرة
من خُطواتها تصنع القوس
من طريقها تَنْسل السّهم

تُشكِّل تُسمّي
وها هو المدى يأخذ أشكاله

والأشياء تتسمّى .

وفي هديلٍ يتصاعدُ من حنجرة الشرق
تطوف وتنفث بُخار التعب
حيث الخاصرة بركانٌ
والبركان رحمٌ يقذفُ الرغبة
حيث يتربّى الزّمن
نطفةً
نطفةً
نعرف أنّها جموعنا نقول:
سلامٌ لكِ، أيتها السّواعد أنتِ من يكوّن الأرض.

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا
نجرّ شِباك السّاعات ملأى بكلماتٍ
كأنهنّ رؤوس أسلافنا وثمة فضاءٌ يكرز بسحابٍ ضد الريح
بثلجٍ ضدّ المطر

إنه الوقتُ

لننسلخَ من غيومنا

نمحو تاريخنا   نكتشف تاريخنا

بيننا

وبينه

النار

حطبُ أحزانِنا رطبٌ واللّهَبُ يميل إلى السواد

اقتربي يا أجناسَ الحمض

الصّموغِ والكباريت

الأدهان والزّرانيخ

وأنتِ، أيتها الأحطاب،

وأنتِ، يا حُرّاقات الأشياء،

اقتربي واهبطي في أتون أشلائنا

وليتصاعَدْ لهيبُكِ

أشهبَ أسودَ أصفرَ أخضرَ أحمر

قوسَ قُزَحٍ

من ألوان التنفس والاختناق

وليكن حُزننا الغضا

حيث يدافع الرّماد عن الجمر

وليكن حزننا وَتَراً

وليكن قوساً تترنَّم

وليكن حزننا دخاناً بلون الذئب

وليكن بلون دخان العَرْفج الذي مسّه الماء

نحن الزمن أوْرَس

نحن الوَرْس جَفَّ، وتفتَّقت خرائطه

نمحو تاريخنا نكتشف تاريخنا

نفتح ذاكرة الدم

ثمة رؤوسٌ كالقمصان تُخلَع وتُلبَس

والدَّم صورٌ وشاشات

أين

أنتَ

يا آدم؟

وكيف أعطيتَ الحياة

وأنتَ تقصد الموت؟

للمكان
وجهُ
حِرْباءٍ
والفضاءُ
تلفيق

دمشق القاهرة بغداد مكة

الطريق ترفض الطريق
وأقدامنا لا تتبعنا ←
نعرف هذه المقابرَ الأليفة
هذه المشانق التي تتدلّى بعدد الأيام
نعرف هذا الرصاص الذي يَرضعُ الأمَّ ليقتلَ الابن
لكن،
كنّا نَتَمنْطقُ بالشوارع نعتقل الأيام
لم تكن أرواد أرجواناً أو قمحاً
كانت رداءً
ينسجه الصّدَفُ يخرّمه الموج
كانت الزّبدَ ـ يتحول غالباً إلى رعدٍ

والرّعدَ ـ يبشّر غالباً بالفِطْر

لكن،

كنا نتغذّى بالمطر

ونَسْتدعي مجهولاً ما

نقول لأجسادنا تطايري

لستِ إلا خياماً

ونحن الحنينُ إلى العصف

نتقحّم ونقول لأقدامنا تدحرجي

الغبار ينحسر

البحر يتقدَّم ←

قلنا ثمة ما يوحّد بين قَدَمٍ تغرِّب وقدمٍ تُشرِّق

وقلنا، ها هي الشمس تحضن بيوضَها

ها هو التاريخ ينفجر حوضاً حوضاً

وحين كان الصَّخر حولنا يصمت في تيه كبريائه

كنا نسمع الزَّمن يَجْأَرُ وينتحب

وقلنا،

أيتها المناجل ـ تحصد المسافاتِ، يا أقدامَنا المتعبة

تشبَّهي بالتراب والحجر وانتعلي أنين القصب

أنتِ من يُكوِّن الأرض.

- ١٤ -

نمحو تاريخنا ـ تكتشف تاريخنا

نهض **القرمطيُّ** افترشَ الصحراء جسداً والجسد حلبةً
قال: ليست الأرض هي التّائهة، بل ضبابةٌ سمّوها السماء
قال: ليس الزمن الوحل، بل شيء سموه السلطان
وجلس في ضوء نجمةٍ يقرأ العاهاتِ والقروح يُطلق الإشارات

[. . . **الفطرة، الهجرة، البلغة، الخمس، الألفة**
← «كلكم أسوةٌ واحدة، لا فضل لأحدٍ على صاحبه في ملكٍ أو شيء»
← «الأرض بأسرها ستكون لكم، لا حاجة بكم إلى المال»].

وقال **القرمطيّ**
أنا النور لا شكل لي
وقال
أنا الأشكال كلها

تلاطمي يا تجاعيدَ بيروت
غُصّي بخطوات الجموع تنفَّسْ
يا قاسيون هواء تباريحهم ←

يترجرجون يهجمون
يتترَّبون يعشوشبون
يتدحرجون هاويةً
ينقلبون زلزلةً
ينفثون الهلع
يَسْتفتحون بالخبز

وقال القرمطي:
الجسد صورةُ الغيب
وحمل الأرض في كتفيْ ناقةٍ وأعلن
أنا الداعية والحجّة ←

استغْوِنا أيها السيد اسْتَدْرِجْنا
قل لنا من كذَبَ ومَخْرَقَ
مَنِ البليّةُ
مَن خدع الجسد بنواميسه؟

اسْتغوِنا استدْرِجْنَا
نتوافق نتناصر
ننصب الدعوة
وندخل في تَميمة الإباحة.

رقعة من شمس البهلوْل ←

[«... يبيح الأموال والفروج
يجمع النساء ويخلطهنَّ بالرجال
حتى يتراكبوا هذا من صحة
الودّ والإلف أطفئوا المصابيح
تناهبوا النساء أطفئن المصابيح
تناهَبْنَ الرِّجال...»].

رقعة من دفتر أخبار ←

[«... وأخذ يشفي القرى ويغني أهلها يكسو عاريهم وينفق على الجميع ما يكفيهم حتى لم يبق بينهم فقير ولا محتاج أخذ كل رجل منهم بالانكماش في صناعته والكسب بجهده ليكون له الفضل في رتبته جمعت إليه المرأة كسْبَها من مغزلها وأدَّى إليه الصبي أجرة نطارته وحراسته للطير ونحوه لم يبقَ في ملك أحد منهم غير سيفه وسلاحه...»].

رقع ثانية ←

[«القرمطي وأصحابه في زهو التشْنيع تُقطع
أيديهم وأرجلهم وتُطرح في قوارير النفط
عظامهم خشبُ يُحرق رؤوسهم تُنصب
على الجسور. . .»].

استغْوِنا أيها السيد استدْرِجنا
لماذا كانت أبواب الجنة ثمانية
وأبواب النار سبعة كأبواب السماوات؟

استغْوِنا ←
ندخل في «أهل السواد»
«سفهاء الأحداث»
«أتباع الفتن»
ونجهرْ ←
نحن التخاييلُ عِلمُ الآفاق
تُخبرنا الطير عن الأباعد
وتُطوى لنا الأرض
وأنتِ، أيتها الصحراء،
احضنينا ←

كوني لنا بحرنا الآخر
موجاً يملأ شقوق الوجوه والأيدي
وخبزاً أبعد من الخبز
إلى الأرض نتجه ←

سواعدنا قمح
خطواتنا حصاد
وعلى ظهورنا آثارُ سياطٍ تتموّج بنارٍ وأرجوان
وها هي نساؤنا
سراويلُ تنضحُ بالشرق
وعباءاتٌ تتبرَّج بحبر الليل
ندخل في بخور الأثداء
نضطجع في ظلال أهدابهنّ:

اكتُبننا حروفاً أخرى
ولتكنْ هذه الحروف أسرارَ الكتابة
ارتفعْنَ حولنا أسواراً وتَقوّسْنَ مداخلَ وعَتَبَات
امزجنَ الغزالة بالأسد   العرينَ بالنّهد
ولنُدشِّنْ طفولة المستقبل ←

لا نبوءة

بل رصدٌ لمساقط الرؤوس

حيث يحتضن الفرات رؤوسنا

وتكون دماؤنا زَهْرهُ العائم

لا سحرٌ

بل ملحٌ يؤاكل التّعبَ ويخبز الأزمنة

حيث تكون أثداؤنا مراضع للنخيل

وأحضاننا أسّرةَ القتلى

ومن بطوننا الخاوية

ينهض شعب العافية والخبز

لا شكوى

بل أجساد ترفعُ راية الوقت←

لا ماء قريشٍ

بل خمرة العبيد

اعصرنَ يا نساء السّواد شقاءكنَّ ولينهمرْ عنباً وحنطة وتمراً

املأن القرى بمزق التيجان والعروش

انكسرْن مرايا مرايا وادخلن في النثار وليكن ذلك احتفاءً بزواجٍ آخر

ثَقِّبنَ الآفاق بأظافركنَّ ولتكنْ صدوركنَّ حلباتٍ

ولتكن حناجركنَّ مزاميرَ للمعسكرات ودناناً للعطشى وفي
الليل
حين يطرح التعب مهاميزه،
قلن لأجسادكنَّ أن تنتسِجَ على أجسادنا دراريعَ ديباجٍ وغلائلَ
حرير
ليزدهرَ أيضاً وأيضاً خشخاش الشَّهوة
لتتوهَّجَ أيضاً وأيضاً قوس الموت ←
نعقد حلفاً مع الصَّعاليك
ننشىء سلطة الرَّغَبات

والآن، أوّل الموج ←
أنا الصَّارية ولا شيء يَعلوني.

رقعة من شمس البهلول←

يبتكر جنوناً يمتلك الشيء ونقيضَه
ويهجس أنّه خليفة الرِّيح

يؤرِّخ له القتل
تحتفل بموته يمامةٌ لا يسمِّيها
مثلكَ أيها العصر،

يرصد الهَلَع
التشنّجَ
زفيرَ الكتب
يمسح الصدأ عن الكلام
ويفجّر ماءً آخر←
مثلك أيها العصر،
تتداخل أنقاضكما لن تلمح نهاياته
لن يلمح نهاياتك←
مثلك أيها العصر
يمزج الحيوانَ بالقمر
الطلعَ بالقشّ
يتقطّع ويَنْبتر

مسترسلاً في نفسه
مثلك أيها العصر

يَتْسَبَسبُ كماء الأعالي
كثيرٌ، لا يتوحَّد
ملتهبٌ لا يخمد
منبسطٌ ولا انقباضَ له
ومثلك يسأل: كيف أُلملم شَعَثي؟
الغربُ يَتَلَعْثَمُ وللشرق حكمة البداية
هكذا يختبر
آه، أيها الكونُ الرَّخو←
هكذا يعتبر
لكن،
بالقشور التي تتساقط من جذوع أيامه
بالعدم الذي يترجرج في أحشائه
سيضيئكَ ويحضنك
أيها العصر الذي يتكدَّس في حنجرته
خرقةً

خِرقةً ←

مثلك، أيها العصر،
لم يمت
وليس حيّاً

أخرجْ، أيها الطفل

تخرج أشجارٌ ـ أقواس قزح من كل قوسٍ
يخرج عاشقان من العشق تخرج غابات من
الغابات تخرج أنهار المستقبل.

III ـ جسد

ـ ١ ـ

لم تكن الأرض جرحاً
كانت جسداً   كيف يمكن السفر بين الجرح
والجسد
كيف تمكن الإقامة؟

أيها الأطباء العطّارون السَحرة المنجِّمون
يا قرّاء الغيب
ها أنا أمتهنُ أسراركم
أتحوّل إلى نعامةٍ = أزدردُ جمر الفجيعة
وأهضم صوّان القتل

أَمتهن أسراركم = أَشهد غيبَ أحوالي
أَلْهثُ كمن يستوطن في غربته
أتهيَّم = «ظاهري منتشرٌ لا أملك منه شيئاً
وباطني مُسْتَعِرٌ لا أجدُ له فَيْئاً»
وفي لحظةٍ واحدة،
أتنشّف أتندّى

أتباعد أتقارب

أتراجع أهجم

وأتخشَّع وأَخْتَلّ   وثمَّة ما يحول بيني وبيني

كيف أُطلع جسدي عليَّ؟

رقعة من شمس البهلول ←

تهجم شفتان بين فخذيه تكرّران

تاريخاً يتكرر

من الآن يلمح الأبد

من الآن يتحسّس البدء

أ ب د = ب د أ

استَفْوِه، أيّها النبض الذي يحكم الغيب

كن إيقاعَه

امنحْ لرأسه أن يهويَ بين ذراعيك

هو المجرَّب المنقَّح

هو الماء السَّلْسَل

هو الهيكل الذي يَتَجَدْوَل مَنِيّاً ونُوراً

- ٢ -

كان لإقامته بين الشجر والزَّرْعِ شحوبُ القصب وسَكْرَةُ
الأجنحة

تآصَرَ مع الموج
أغْرى بِهدأة الحجر
أَقْنَع اللّغَة أن تؤسِّس حِبْرَ الخشخاش

وكان سُلَّمٌ يقال له الوقت يتكيء على اسْمِه ويصعد
نبوءةً
نبوءةً ←
من الأجنحة يخرج الأثير
من المصادفة يخرج الحتْم
لكن
أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني؟

وجهٌ يجتمع بُحيرةً — يَفْترق بجعاً
صدرٌ يرتعش قبّرةً — يهدأ لُوتَساً

حوضٌ يتفتّح وردةً ينغلق لؤلؤةً

تلك هي أدغال الهجرة وراياتُ القَفْر

وللنّهار يدا لعبةٍ

وللفَلكِ نَبرةُ المهرِّج

لكن

أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني؟

يلبس الموتُ حالةَ البنفسج

يسكن النّرجس آنيةَ الثلج يحلم أن الحبّ وجهٌ

[illegible]

وعلى العتبة جسدٌ ـ شرارَةٌ لقراءة الليل

ليس الموتُ عزلةَ الجسد

الموت عزلةُ ما ليس جسداً

لكن،

أيتها الشمس الشمس ماذا تريدين مني؟

تُكثِّرني الحواجز

تجعلني الحجبُ أكثرَ سطوعاً

أتنشَّق نباتاتِ الغور وليس بين قدميَّ غيرُ الأقفاص ـ

لو القفَصُ يلتهب، والوقتُ دَغلٌ

لو الدَّغَلُ امرأةٌ

لو السّماء تفكُّ أزرارَها

لأبْرأَ مِن ليتَ وَلَوْ

لأقولَ انطلقي أيتها السماء بحثاً

عن أمومةٍ ثانية

حَرّري أهدابك من الدمع

استسلمي لماءٍ آخر

لستِ الحُلمَ ولا العينَ

لستِ حكمةً لي حكمتي أنَّ للريح ثمراً

يغذّي أيامي

أن لأيامي سُفناً تنقل الشواطىء

لكن،
كيف تهدأ مَراسٍ تحرسُ الموج؟
وأنتِ
أيتها الشمس الشّمس ماذا تريدين مني؟

أبحث عما لا يلاقيني
باسمه أنغرسُ وردةَ رياحٍ
شمالاً جنوباً شرقاً غرباً
وأضيفُ العلوَّ والعمق
لكن، كيف أتجه؟
لعينيَّ لونُ كسرة الخبز
وجسدي يهبط نحو داءٍ له عذوبةُ الزَّغب ←
لا الحبّ يطاولني
ولا تَصل إليَّ الكراهية

لكن،
كيف أَتَّجه؟ وماذا تريدين مني
أيتها الشمس الشمس؟

- ٣ -

يمحو وجهه ـ يكتشف وجهه

يتقدَّم الخطف تلبسكِ فتنةٌ بفجرها الأول

يتقدّم الوقت أين المكان الذي تُزْمِنُ فيه الحياة؟

تتقدَّم العتمة أيّة رَجَّةٍ أنْ أوزِّعكِ في كريات دمي

وأقولَ أنتِ المناخُ والدّورة والكُرَة

أيّة زلزلة؟

يتقدّم الضوء يُلْيِلُ في أنحائي

أنقطع أتَّصل

والوقت يأخذ هيئة البشَرة

يخرجُ من الوقت

وسقطَ

غزوكِ

عليّ ←

وشَهَقَتْ إليكِ أحوالي

لماذا حين دخلتِ أخَذَتِ الحقول تشتعل وكانت يداي أوَّل النار

ولماذا، كلّ ليلةٍ،

كنت أحمل زَغَب نهديكِ لليلةٍ مقبلة؟
أُدخلي
وعلى ركبتيكِ

ترابٌ وفي الطريق إليكِ ـ إليّ
الجبالُ
وسَرْوُ المنحدرات
وشرْبينُ الأودية أقول نلتقي ـ نفترق
وأستجمع أنحائي:
أيها الحَنْظَلُ المتناثر ملحاً على موائد الإباحة
أنت العذوبة وأمنحكَ طعميَ الأول.

ادخلي
نلتقي ـ نفترق لا الفراقُ جَناحُ وليس اللقاء ظِلاً
أَخْتبىء في تقاطيعي
تختبئين بين نهديك ـ
امزجْنا أيها المنحدَرُ
جسداً يتجامَحُ
جسداً يَرْتاض

وارسمْنا.

اكتملَ دَفترُ السلالم

انفتحت حقائبُ الهجرة ←

جسدكِ التّيه أخرج

وأسفارُ خروجي أنتِ

آخذكِ أرضاً لا أعرفُها

تلالاً وأوديةً تغطّيها نباتاتُ البحث

امتداداتٍ غامضةً

وآخذكِ واقفاً

قاعداً

راقداً

ولا أقنع بغيركِ

آخذكِ

في تنهداتي

في اليقَظة والنوم

في الحالات الوسيطة

وفيما يُعدّه لي الوقت

آخذكِ

ثنيّةً ثنيّةً

وأفتتح مسالكي ←

أتمدَّد فيكِ لا أصل

أتدوّر لا أصل

أتسلَّك أنتسج لا أصل

أصلُ من أقاصيكِ لا أصل

ما بعد المسافاتِ أنتِ ما بعد المفازات

أنتِ أين وهل وماذا وكيف ومتى وأنتِ

لا أنتِ

انْبسطي على جسدي وانْغرسي

خليّةً في خليَّة

عرْقاً في عِرْق

ولتخرجْ منكِ آلاف الشفاه

آلاف الأسنان

ولتكن غير معروفةٍ لتكونَ على قَدْرِ حبِّنا

هذا ذلك بينما

عضوٌ يُختَبلُ

عضو يُختلب

وفي ثنيَّات أوراكنا نطف ماءٍ تفترشكِ   تفترشني

وتنطفىء دَنّاً دَنّاً

وأكون علّقتُ صورتكِ بجميع الصور

ويكون جاءني الكشف وقلت:

هذا لقاؤنا الأخير ←

من أنتِ؟

آخذكَ

حيواناً ملائكياً

يضع السّمَّ في شفةٍ

والبلسم في شفةٍ

وكلّ ليلةٍ، أقول

هذا لقاؤنا الأول

أيها الأحد

ق

م

ر

ش ع ش ا ع ←

وليس لي معك غيرُ الهواتف
وغير البوارِق
وما يطوف
ويهتزّ جسدي بالكُنْهِ اللازم له
والملكاتِ الواجبة في أشيائه
وأصرخُ: أنتَ الهباءُ
وأنت القادِر
من أنتَ؟

جسدٌ يكبَرُ في الخَزام والخالدة
ينحدر يعلو يَسْتنشرف
يجمع الضّفافَ ويقرأ هذَيان القصب
جَسَسْتُكِ بِعينيَّ
رقصاً يتقدَّم في خطوات الفصول
تنهّدتُ في نَارَدينٍ
وأخذتْ أشكالٌ تروح وتجيء في لُججٍ
الخاصرة ← يصطدم الغريق بالغريق
أخرج من الخيزران

أَدخل المِدقّة
أَتغلغل في أخْبية القاعدة
حيث يكمن البيضُ وينتهي قَلَم السِّمة
أتجمّع كما يتجمّع اللّقاح أخلعك
أتزيّا بكِ
أنسلخ منكِ أتّحد بكِ
واخلق بيني وبينِك
خداعاً بعلوّ الشمس
رياءً يكسر الزّمن غصناً غصناً
من أنتِ؟

تحت البَشرة الهويّةُ
في شراييني خَبْطةُ المسّ
أتدحرج بين أنا الجمر وأنا الثلج
وبين
الياء
والألف
أتدلى

أخلق في اليوم يوماً آخر
وأربط بحبل الدقائق أهوائي
تقول المرآة اكسريني
تقول الخطوات قيِّديني
وبين آلة الموت وحيوان الألفاظ
أَنْغرس   أنجذر
وألعب نَرْدَ الطبيعة.

رقعة من شمس البهلول ←

قلتَ مرَّةً:

اجعليني على خزائن جسدكِ واسْتودعيني،

جسدك نيلوفرٌ جسدي بحيرة، -

وقلتَ:

أيتها المتراميةُ ضفافاً ضفافاً على مدى هيامنا

أيتها السفينة ← اجْنحي

ربّما تَنْقشر الطحالب

ربما تتوهّج قرارة السرّ

ثَمَّةَ أغوارٌ يغمرها الصدأ - اجْنحي

حيث الجنوح كنيسةُ الجسد

والجسدُ كاهن الجنون

وقلتَ:

يداً بيدٍ قلباً على القلب

يسير الجسدُ والمهبُّ ← لا العصفُ يهدأ

لا الجلْدُ يحتمي

ويُجَنُّ الجسد جنوناً ينتحل التعقل

ويُجنّ المهبّ جنونَ المحيطات

وقلتَ:
كيف يسبِّح الحصى في اليدين
ويَنبع الماء بين الأصابع؟
وقلتَ:
أطلبُ إلى زماني مهلةً لأكون آيةً تنطق بما سيكون الحبُّ
وقلتَ:
الحبّ هو كذلك يجرح الحياة ← يقتلع وينفي
الجسد هو أيضاً يتحول إلى سائلٍ ويأخذ شكل الإناء
وقلتَ:
الجسد لا الحبّ جِلدُ الزمن مَسامُّ الأرض
الجسدُ لا الحب قوسُ الأفق عضلَةُ الريح

تريد أن تعرف؟
إذن، اجهلْ ما أنت
واجهلْ غيرك

وقلتَ:
خلطتُ وعوّجت
سَللتُ صوتيَ امْتلخْتُ كلماتي،
وأغمدتُ اللغة

وصرختَ:
أيها الإنسان
الذي خُلق مريضاً
متى تشفى؟

- ٤ -

ادخلي بَطِرت أعضائي
إليكِ ناهبتُكِ
تَنمَّيتُ فيكِ
وأَرْسيتُ أحوالي ←

ادخلي نلتقي = نفترق نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا
نمزج الخبز والجرحَ لنبقيَ الأرض تحت كلماتنا
نحتفظ بشجاعة الرَّفض لنكتب تاريخاً آخر
نرى امرأةً - بحيرة نهراً - قامةَ عاشقٍ ←
يتطيَّف جسدانا
ونعلو في الفضاءات

عارياً،
يترك الفلك بيته ويهبط أدراجنا
للأشياء هديرٌ نغتسل فيه
للأوقات وحوشٌ نأنس بها

نتريّف نتحضّر

ننتثر ننتظم

نأتلف نختلف

ليس للأشياء أسماء

للأشياء أفخاذٌ كالأيائلِ

وجوهٌ كالعشاق

وها هو المدى←

فَرْوٌ أبيضُ

وللوسائد عطر الأدغال

وها هو الجسد ـ الأبُ الجسد ـ الأم

يَتّجه

نَتّجهُ

تحيِّينا أجراسُ الرَّغبات

تحيينا أسرّة بعلوّ الطفولة وصدق الشمس

ونبتكر موتاً يطيل الحياة

ونبتكر خداعاً

بينكِ وبيني

رياءً

يكسر الزمن غصناً غصناً

نلتقي = نفترق = نمحو وجهينا = نكتشف وجهينا
في السرير طيفان
واحدٌ يتراءى واحدٌ يتوارى
والجسدان أربعة ـ
شَطْرٌ للغائب
شطر للحاضر

حشدٌ من الإِبَر يلطم أحشاءنا
والجسدُ الذي نقرع لا يُؤاوينا
ثمة شقوق تكشف ما تغطّى
ثمّة أسارير تقرأ علينا الأسرار الأولى
كيف للجسد الواحد أن يُثمر الياسمين والعوسج؟
كيف لقلبٍ واحدٍ أن يلبس جسدين؟

نأتلف = نختلف
نبتكر خداعاً بعلوّ الطفولة
رياءً بصدق الشمس

نبتكر موتاً يطيل الحياة
ونقول
الحب ثلاثة - رجلٌ ورجلٌ وامرأة
رجلٌ وامرأةٌ وامرأةٌ

دائماً
كان
بيننا
مسافة ← قلنا
يمحوها اللهب الذي نسميه الحبَّ
والتصقَ النهار بالنهار الليل بالليل وبقيت بيننا مسافة
أطفأنا ما لا ينطفىء
أشعلنا ما لا يشتعل
وبقيت بيننا مسافة
وفي ساعات التحام الشهيق بالشَّهيق والنطفة بالنطفة
بقيت بيننا مسافة
أيّها الحب، أيها النسل المنطفىء
تَقدّمْ واجلس على ركبتيَّ - ركبتيها

خُذْ إبرَ الدمع وانسُجِ الماء
تحيّينا أجراس الرَّغبات
نبتكر موتاً يطيل الحياة
نبتكر خداعاً بعلوِّ الطفولة
رياءً بصدق الشمس
من نحن؟
يجمعنا جسرٌ لا نقدر أن نعبره
يوحّدنا جدارٌ يفصلنا   أدخل فيكِ أخرج منّي
أخرج منكِ أدخل فيَّ ←
ما أبنيه يَهدِمني
تشبّهتِ لي أنَّكِ الفضاء
وأَضْغَثْتُ الرؤيا

أمسكتُ بوردةٍ   هبطتُ واديك وانتظرت
بيننا نهرٌ والجسر بيننا نهر آخر
سمعتكِ تسألين: أيّنا الكبدُ
أيّنا النواح؟
اختلطتِ بالجَزَعِ وأعشاشه

صرختِ اتّحدنا كرةً من النار
انْطفئي الآن أَنطفىء الآن
لِنعرفَ نعمة الجمر
نمحو وجهينا نكتشف وجهينا
هواجس
أصدافاً
مرايا

ننفذ عِبرَها إلى شخوصنا الثانية
نفتح صدرينا للأكثر علوّاً
ينفتح لنا الأكثر انخفاضاً
ويدخل كلانا في برج الوحْدنة
في عزلة عصفورٍ يُحتضر
ويتذوَّق كلانا طعم الآخر
وتسكر أعضاؤه بالحياة لحظةَ يسكر الآخر بالموت
وكلانا يُسِرّ نعم لحظةَ يجهر لا
ويُسرّ لا لحظةَ يجهر نعم
كيف تغسلين جسدك
ويزول ماؤك الثاني؟
كيف أغسل جسدي ويعود لي مائي الأول؟

أنا سؤالكِ

ولستِ أنتِ جوابي

عرَّفتكِ بحنيني

بشَّرتك بِه وربطتك بنفسي

ع ي

ل

أد ن ي س

و

لكي يتحرَّك جسدكِ حركة الحكيم

وأتحرّك به

بما فوقه

بما تحته

وبالذي بين يديه

لكي أحيطَ بكِ إحاطةً تخلِّصني من كل قاطعٍ يقطعني عنكِ

أقرأَ كتاب كنهكِ

أتطوّرَ في أصولكِ

أذوقَ موجوداتِها

وأشخِّصهَا في أوهامي

لكي تكوني النقطة

وأكون الخطّ والشكل

لكي تكوني مِنْ وما يتلوها
عَنْ وما عندها
حيث لا تسعني الكلمات
حيث لا يسعني غير التخييل والرمز
لم أقصدكِ

لستُ بحركِ
لست البجع الذي تنتظرينه
وليس لي غير أطرافٍ
أطرافٍ تتيهُ تتوه في حُمَّى لم أكتشف حدودها
بعد.
محوتكِ ـ اكتشفتكِ
بسطت على الورق أجنحتي واستدعيتكِ

قلتُ: الموت شيخ
من أين له بعد أن يلحق بنا؟
قلتُ: جسدي شمالٌ والزمن جنوب
كيف لهما أن يلتقيا؟

ولكِ أمامي الذي لا يهرم
ولك أبديّة الجهات الباقية من أعضائي
ولكِ منحتُ عينيَّ الأرقَ ويأسيَ النوم
ولك ساويتُ بين الصحراء والبحر
العينِ والشّوك
ولكِ استثنيتُ المعنى من حشود الكلمات وسمّيته الصورة
ووفاءً لأسمائك التي أنزلتها سلطاناً
قلت للأبجدية: تشهيَّتِ ووحَّمْتكِ
ولكِ غيَّرتُ وأقنعت سنواتي أن تكون جمرة التغير
ولكِ استوهَبْتُ اللهبَ أخطائي وأقنعت الجسد
أن يكون مجدَ الصَفات

ألتهمكِ خليّةً خليّةً لا ترويني
أحتويكِ نبضةً نبضةً لا راحةَ لي فيكِ
لا الغيرة تفصلني عنك لا الكراهية
يفصلني شعورٌ لا اسْمَ له
وأنتِ الآن الزّمنُ والموت:
من أين لي أن أسترجعكِ؟

تُحتضرينَ ← أندفع نحوكِ
أجسُّ بقاياكِ
وألمس كيف ترحلين

لم
أكنْ

لستُ إلا رذاذاً يُشهِّي
كنت البطيءَ وسبقْتني ثيابي
موتي سُلَّمٌ لجسدي وجسدي بلا قرار ← أين أثبت؟
أثبتّ السّحاب قلتُ للزبد أن يكون
مفتاحَ الموج ← أين أثبت؟
ليس الاسم جذراً ليس الجذر امرأةً ليس ← أين أثبت؟
القشُّ يأتزر بالورد والكلمات تكسر صلبانها ← أين أثبت؟

وجاءني الأفق سَمَّى نفسه بِاسْمي
ليس الاسم حضناً
ليس الحضن امرأةً

آخذ شفتيَّ منكِ هذه الليلة

أيتها الأرض الوَحْمى ولا حَبَل،

لأعرفَ كيف تهطلين أيتها الصحراء

كيف تزدادين اتساعاً

لأعرفَ خَتْمَ اليأس

لأعرفَ كيف نحبّ دون أن نحبّ

كيف يذبل ما تسمَّى بأسمائنا الأولى

وارتوى بما حسبناه لا يعرف الذبول

أيتها الذكرى ـ النسيان

كيف يتبعني البنفسج أتبعُ زرقة الماء

أقرأ جسدكِ ـ

ضيوفه ورعاياه

وأقول يخرج من وجهي ضبابٌ

تخرج من جسدي خيوطٌ

تتواصل تنحلُّ تَنْحلُّ

وأسألُ من رأى حصاةً تمتدّ

امتدِّي أيتها النار،

الأحشاء تيبس

امتدّي
والصقيع يزدرد العضلَ
امتدّي
والزمن رطبٌ رطبٌ
والزفير يَتدوّرُ هالاتٍ هالات

الطرق الصّالحة ليست صالحةً لي
وليست لأحدٍ خطواتي
وفي كل نقطةٍ من جسدي تِيهُ ←
وليس الضّلع عشيقةً لأضلِّلَ الطرق
وليست المرأة أرضاً لأكتسيَ بالفضاء
أشكِّك المثلَّثَ بأضلاعه الدّائرةَ بمركز
الدائرة
أشكّك الخبز بالملح
هل يخرج الطبع عن مداره؟
هل أنا سمكةٌ تكره الماء؟

أكثرُ شيخوخةً من الحَجر هذه العضَلة

عبرت مَحجَّات الخذَرِ   استكشفتْ محيطات الهلوسة

رافقْنا معها دوَّار الشمس

سكنَّا معها حشيشةَ الملاك

الطرق فواصلُ وحركات

ولا فرق بين القمر وظِلِّه،

العصفورِ والغُصن

ورأيت البحر في وَزْرَةِ الغابة

والثلجَ ملكاً على الماء   كانت الشمس تحرسني ولي دَوْرة الفَلَك

يحملني قَرنا جدْيٍ تختارني شفتا ثورٍ

أشهد كيف يكون للضوء جسدُ الشوك

لِلطَّمْي أنينُ الأعالي

كيف تمحوني الحقيقة ويثبِّتني الوهم   من أين أعبر المسافة بينهما ـ

دائماً كان بيننا مسافة

أيّها الضّارب في شريان المسافة استسلمْ
للرِّيح تشرّد الفضاء
للفضاء يمشي بقدمي طفل
لِلحبّ منَفْى للحب.

رقعة من تاريخ سري للموت ←

وداعاً للجسد الذي واثَبَه وساوَرَ

أعضاءه

وداعاً لِمَدٍّ يجزرُ بين طفوليّة جسده

وشيخوخة أحلامه

سلاماً لمملكته البائدة.

رقعة من دفتر أخبار ←

يمحو الشهوة ـ يكتشفها
الشوك يدٌ لمن يزرع الزهر
الملاك أوّل الحيوان

يمحو يكتشف
يحلم بجسدٍ يكتبه
لكنِ الكلماتُ أحلامٌ والكتابةُ امرأةٌ
ماتت: هل الحبّ هو الحب؟

لم يعد يرى ـ أعني بدأ الآن يرى
حين يحضره الموت لن يسمع صوتها
وإذا سألته: من أنا؟ لن يعرف الجواب
وربما همس: هل التقينا حقًّا؟
ويقول:
ينهضُ اسمٌ آخر للحب.

رقعة من شمس البهلول←
لكي يكونَ ما هو
خرج من نفسه← خرج
وبقي فيها شخصٌ لا يعرفه

أتأبّطُ الليل
هديّةً لكل جسدٍ أبلِّغُ هذه الرِّسالة:
اتّصلْ كما يتصل البحر باليابسة←
يلتصقان لكن لا شراكة بينهما
كلاهما نقيضُ الآخر

- لكن، لماذا أنا جميلةٌ أيها البهلول؟
- لأنّ السفينةَ هي التي تراكِ، لا الموجة.

- ٥ -

اللّيل يعرّي عشيقاته

يتصوّف   يتّحد بأصغر أجزائه

قولوا للسماء أن تغيّر اسمها

قولوا للأرض أن تأخذ هيئتي

وجهي لمحٌ في عيني بحيرةٍ تجفّ

لِجسدي طعمُ الكفن

لهذا،

يتخطّفني رعدُ المتاهات

لهذا،

يصير العالم نافذَةً لا تتسع لأهدابي.

أعرفُ المحارةَ

قنديلَ البحر

فخذَ الليل سِكّينَ القمر

لسانَ القرنفلِ شفاهَ الريحان

أعرف الوجه والقفا

وثمّة سطحٌ أنتشر فوقه وأجهل امتداده وألوانه

الجسد الذي أعطيته جسدي لم ألمحْه
الجسدُ الذي قال اقرأني كتبتُ غيره
اكتبْني قرأتُ غيرَه

لهذا،
أتردّد صوتاً بلا كلامٍ داخل مسرحٍ بلا حدود
لهذا،
أسمعُ كلماتٍ بلا صوت:
لَمستْكَ يد الفجر مرّةً
وغابت.

تزّيني أيتها الفصول بشموعِ تاريخٍ ينطفىء
العشب يغلق مقاصيره
الرّبيع يكسر مفاتيحه الأولى
وثمّةَ من يجرح ويلتصقُ ذبابةً على الجرح
وها أنا ـ
أهبط من الأفق الثاني للولادة
ويَنْخَرِقُ لي فضاءٌ آخر.

أيها الحنين الذي ينتقِش على جدران الزمن
أيقظْ وحوشَك وأطْلِقها
أيها الحبر البابليُّ
استرجعْ سُكرك وأسكرني
زمني قميصٌ يضيق والشهوة جسدٌ يتسع
أمحوكِ أيتها الشهوة
أكتشفكِ ←
أسمع للحوض صهيلَ الأفراس
ألمح للسُّرَّة امتدادَ السهوب
عضَلةٌ تستدير
عضلةٌ تُعاجزني
عضلةٌ تمزّق بعضي ضدَّ بعضي
ألمس القَحْف والقلبَ
نبضَ العظم
وخَوْحَة الشرايين
وجهكِ طافِحٌ بدمي
وآخذ وأكرّر وأهذي
وللأفقِ بَخُورُ المنيّ.

اتركي لجسدي أن يثبت على الورق
مَمْشى وخطواتك الشجر
مشهداً وجسدك الممثّل والراوية
ظِلاً وجسدك الإشارات والتلاويح
سطحاً وجسدكِ العمق
حروفاً وجسدكِ الكتابة.

وتنزّهي
في كفنٍ تنسجينه خيطاً خيطاً
وقولي للإِبَر أن تُبطىء
وأبطئي

وأنتِ يا متاهات الحب
اسْتَشْرفْتُكِ وأخذتْكِ عيناي
بَرَدْتُكِ وثَلَجْتُكِ
استنْقعتُ فيكِ وجَسَرْتُكِ
وأنا الآن أُناسِمُكِ
وفيكِ أُخَضْخِضُ جسدي.

رقعة من شمس البهلول ←

يمحو الشهوة   يكتشفها

تطوَّح فيها

حضنها تفاريقَ وجوامع

مَنحها تصاريفَ جسده

اسْتَصحبها مع أنفاسه وهَيْمَنَها

اخْتَرطَها بلسماً ورأبَ صدوعه

تفارَسا

وَالتَهَم أحدُهما الآخر

لا يجد كلاماً

هل يتحدَّث بما يوحي؟

إذن،

تَدَهْدَهَ في نفقٍ

انتسب إلى بيت عنكبوت

تَعارَك مع جناحٍ سقط من ذبابةٍ ماتت

يتوهَّم نسراً تتبعه الشمسُ يتبع نجمةً تنطفىء ويقول

هكذا أحيا

يتوهّم كنارياً تخنقُه يَدٌ تواسيه ويقول
هكذا أحببت

من الحلم
إلى الحلم
يمضي ← الأملُ يَسْتَتِمُّ خريفه الأخير
والحبّ كَمْأةٌ وتَعاشيب
لا سقفَ غير التوهم
لا توهّم غير اللجّ ←

وقالت الموجة:
أنا المستقبل.

أمحو جسدي   أكتشف جسدي ←
قلتَ لي: شكوتَ إليَّ الوحدة
وقلتَ: سأمثّل لك الحبّ:
غصن ←
كثيرُ الشوك
أُدْخِل في جوف العاشق
تشبّثت كل شوكةٍ بعرق

ثم جُذب

أخذ ما أخذَ وأبْقى ما أبقى

خلاياي ازدوجت وامتلأت أكثر من البحر،

أَنزلق على مُدْيَة جُرْفٍ مجهول

تنزلق لغتي على مُدْية الهاوية

وبين نشوة الدُّوار

وشفا هلاكٍ غير مرئيٍّ

أتدلّى

لا تقريباً

بين

في

ربَّما أبداً

والنّفي ظرفٌ والظرف خبر شهابٌ يجرّ حروف الجسد

وينطفىء

جسدي أشياء تتناقض

يربط الكفن بقدم الشمس

ويقول لفراشةٍ

بلون وجهي

اكتبيني على جناحيكِ

واحترقي ←

هكذا

أَنحدر في إنشاءات الذكورة والأنوثة

للذاكرة ستارٌ يغمرني

للحركة رموزٌ تمحو الذاكرة

عَرُّوا أنحائي من أسفل

غَطّوا أنحائي من أعلى

جسدي خَطٌّ غضوني تعابير

ـ هل أنتِ من جنسِ ما يُكتب؟

ـ هل أنتَ من جنسِ ما يُقال؟

أكثرُ فصاحةً

أَن اكتسي تأشيراتٍ وتراقيم

أكثر عمقاً

أن تتحوّل أطرافي إلى حواشيَ وهوامش

أكثرُ شفافيةً

أن يكون الزمن زهرةً تذبل (أو تتفتح) ووجهي الآنية

تَتَأَرْجَحُ البَشَرةُ
أَنخرط في سِلْكِ الأغوار
أتمحور
أهوي
أَختلط باللّجّة
وتَسْترسِلُ أهوالي ←

الجرح **دلتا**
البلسم **ألف**
والجسد حروفٌ بلا نقاط

أيّة هاوية تَتّسع لأعضائي
ليس للمكان قصبةٌ لأتوكّأ ليس فيِ مناخهِ غيومٌ لأتوسّمَ المطر
وها أسمع في جسدي
جذوعاً تَنْبتر
وأشلاءً تَتطاير
وها أنسكب في شظاياي
وَأَسترخي ←
أيّها الحبّ ـ الرّأسُ الذي يَشجُّه الجَسد عرقاً عرقاً

أيها الحب، يا أرومةَ الماء
اتّسِعْ
كن الهباءَ والشمس
وأثْبِتِ الغُبار بالغبار.

تمرحَلْ، أيها الجسد، من الآن إلى الموت ←
ـ متى وُلدتَ، ما عمرك؟
ـ لا أعدّ لا أرقّم
أتهالَكُ وَالهاً
أهوائي تَملّكت حركاتي، وشَرَّبَتْ وجهيَ اليأس.
كرّرت: أملك أقاليمَ لا أعرفها
يُجَيِّشني الرماد لكن اللّهبَ يقودني ←

رقعة من تاريخ سري للموت ←

تَمدَّدْ، أيها البخار، يا دمي ورافق استطالاتي
ثمة أمواجٌ تقبل من شواطىء غير مرئية
تقول إنَّها استطالاتي
ثَمَّة صلصالٌ غيَّر اسمه
حَرْفٌ خرج من صوته
أُفقٌ على شَفَا الأفق
تقول إنها استطالاتي
وبين العصب والعصب صَحَارى
تقول إنها استطالاتي

وأنتِ، يا زهرة الآلام امْنحينيَ احتمالاتٍ أخرى
كوني أمومةً   زهرةً بآلاف الأَسْدية والمِدَقَّات،
الكؤوس والتّويجات
امْنحيني - اذْكري وجهي
كنتِ تَنْحنين عليه كلّما جمعنا ماءٌ أو هواءٌ لِنقرأ الموت
تمتزج رائحتانا
تنمو أطرافُنا توائمَ توائمَ

أقول لكِ: تَموتينَ مأخوذةً بالماء
تقولين لي: تموت مأخوذاً بالشمس
لكن،
لحظةَ تذبلين بين عينيَّ ←
يفصلنا لَهَبٌ لَهَبٌ لَهَبٌ
ومتاهاتُ الأَحد السبت الجمعة الخميس
أصِلُ فيك الشهوة بطعم التراب
والفرحَ بنكهة الموت
وها هو جسدي
موشوماً ببقع الحسرة
يزحف بين كلماتي
تتكاثفُ أدغال الأرق
تعلو أمامي الجبالُ
الشجر ينام
ولكلِّ حصاةٍ أذنان تُصغيان إليَّ.

توهَّمتُ أنَّ اليدَ يَدٌ وأنَّ الوجهَ هو الوجه
وكان هذا تعاطفاً مع الرمل

رقعة من شمس البهلول ←

الجسدُ يتذكّر الحبّ ينسى

الحبّ أن نذهب الجسدُ أن نجيء

الحبّ أن نستوهم الجسدُ أن نتَبلبل

الحبّ ـ هذا الهَزْل الكوني

من أجل أن يظلَّ الأبد مشقوقاً

من أجل أن نُهَسْهِسَ الشّكّ.

رقعة ثانية ←

الحبّ مَلكٌ على السَّلب

طفلٌ يظلّ في حالة الولادة

الحبّ زيّ ـ كلّما كثر المحبون قلَّ الحب

سريرٌ تعمره حشرات إلَهية تنفث الهذيان الكوني

حيث يشتبك فخذ القمر وفخذ الفأر

يتعانق فكّ الشّمس ولسانُ الحرذون

الحبّ فمٌ حُرِّف عن موضعه

لا تطلب الغبطةَ في الحبّ

لكن، لا تطلبْها في البغض

اطلبْها في رذاذٍ لا ينقطع

من غيمةٍ تسبحُ

في فضاء بحثٍ يسبح

في فضاء رغبةٍ لا اسْم لهما

لا اسمْ له

رقعة ثالثة ←

منذ أخذت السَّماء تطعم الأرض
انشطر وجه هذه التاعسة نصفين:
نصفاً للخطأ
نصفاً للندم

قبل الأوان الخطأ
بعد الأوان الندم
والانسان بينهما مَبْغى .

- ٦ -

قالت أشباحه:

كنتَ ترقد مع آخر نجمة   تستيقظ مع أول عصفور

جسدكَ وراء جسدك وعيناك تَسْتَسِرّان

ترسم خرائط الماء، والماء يهرب ويمحو

وتساءلتَ كيف يتحوّل الهاجس إلى قدمين ويدين

وقلتَ الخيالُ يلمس أصابعي

المكان يتخيّلني

وما حاجة العين للعين؟

العصر تَشنَّنَ جلدُه وبَدَّن

الأفق طَحْلَبَ

وَشَوَّكَ الماء.

وقالت أشباحه: أيها الفشل، يا جَسده الآخر،

وحدك عرفتَه ـ قلتَ

في أحشائه مشاتِلُ وآلات

لنفي ما يَقبل ونَفْي ما يَنْفي

وقلتَ للأشياء الْبَسيه

وقلتَ له البسني -
الآن تستطيع أن تبدأ.

وكان الجسد جديداً وأخْبَرنا:
غَرَضي أن أسمِّي **الحُمَّى** ذاكرة الجسد
غَرضي أن أتحدث مع حرائق الداخل
غرضي أن أعارض الموجَ لأحسن تمويه الشواطىء
وأبدأ دائماً سقوطاً
في
زهو
العافية.

وكان الجسد جديداً وأخبرنا:
الماء ضيّقٌ على عطشي
وأنا ضيِّقةٌ على **أنا**
لي آلافُ الألسنة وليس لي إلا كلمةٌ واحدة
لي من الموت أنواعٌ لا تُحصى
وليس لي إلا قبرٌ واحد.

وقالت أشباحه: تَبَلَّلي بمطر الأشياء واغمريه يا أعشابَ اللغة
يبتكر أعضاءه أعداءه
يقرأ تاريخ التراب
ويتوّج الشيء ملكاً على رموزه.

وأنتِ انْقصفي يا أعمدة الذاكرة
وأنت انْطَفىء يا جمر الماضي
يفرّغ جسده المزدحم بالأسماء
يمنحه لجسدٍ لا اسْمَ له
ويعشق هذا الجسد الذي لا اسْم له.

وقالت: أشباحه: افترسَتْه أحوالُه
تستأصله فأسُه
تمزّقه يداه
من أنقاضه ارتفعت أسوارٌ وَعَلَتْ مقاصيره
انقسمَ ظلّه اثنين يدّعيان حبه:
واحدٌ يؤثر جثته
واحد يفضّل صمتاً يشبهها

وانتشرت جثّته أثيراً

تتدّلى منه رؤوسٌ وأفخاذ   موائد وأسرّة

وانتشرت جثّته مرآة

لها شتاتُ المدى

وأخذ كلّ شيء يتراءى فيها:

أين العصفور   يطير بأجنحة من الوحل؟

أين الصرصار   يتقمَّص وجه الملاك؟

وقالت أشباحه: اصهرْه أيها الشّقاء لِيَستنزلَ مطَرَ الوقت

ضجِرتْ أعضاؤه من أسمائها

من النُّطق والصمت

من السكون والحركة

ضجرت أعضاؤه منه   تسبقه - يتبعها

أصهرْه أيّها الشقاء ليعرف هل هو هو، أم غيره؟

وقالت أشباحه: لنمضِ

أمامنا الجسد يترمرَمُ سِرّاً سِرّاً

العَفَنُ هو كذلك القلب
العَفَنُ هو كذلك الطفولة
العَفَنُ هو كذلك الحب

ولْنقتنع:

الحب أن تشكَّ أيضاً في الحب

الحياة أن تزخرف لك العينُ أنَّك الوحل
أن تتّسخ ويكون الوسخ من ولائِمك وأعْراسك

ولنقتنع:

الحياةُ أن تَتَماوتَ
أن تكونَ منذ البدء، الميِّت ـ الحيَّ
الحيَّ ـ الميِّت

وقالت أشباحه: باسم جسدك الميِّت ـ الحيّ   الحيّ ـ الميت،

لستَ في الطرف
لست في الوسط
لستَ الحكيمَ
لست الطائش
أنتَ

السقوطُ النهوض

اللّحظةُ التي تتنفّسها وتتكرر

كلمة لا كلمة

شيء لا شيء

غَيّبْ تَغيَّبْ

وادخلْ في أعراس المحْوِ والصَّعْق اتّجهْ أرِّخ

لا الأمرُ أمرٌ

لا النّهيُ نهيٌ

انسُلْ دمكَ خيطاً

اتْبَعْهُ

اعنُفْ تَحَنَّنْ

اخترقْ ←

بلا اتّجاهٍ

بلا طريقةٍ

ارتطاماً

قفزاً

لا تَستَبْق

احترقْ تَسَلْطَنْ

كن المكانَ الذي لا مكانَ فيه

الوقتَ الذي يغلبُ الوقت
كُنِ الشّهوة الشهوةَ الشّهوةَ
ابْرَأِ الجسدَ
وسمِّه النبيّ
والناطق.

- ٨ -

باسم جسدي الميت - الحي الحي - الميت

ليس لجسدي شكلٌ

لجسدي أشكالٌ بعدد مَسَامِّه

وأنا لا أنا

وأنتِ لا أنتِ

ونصحّح لفظَنا ولسانيْنا

ونبتكر ألفاظاً لها أحجامُ اللسان والشفتين،

الحنَكِ

وأوائلِ الحنجرة

ويدخل جسدانا في سديم دَغَلٍ وأعراس

يَنْهدمان

يَنْبنيان

في

لُجّةِ

احتفالٍ

بلا شكل ←

بطيئاً سريعاً

نحو ما سميناه الحياة

وكان فاتحةَ الموت.

باسم جسديَ الميت ـ الحيّ الحي ـ الميت

ارتفع السَّرْوُ بين الاسم والوجه

عادت اللغة إلى بيتها الأول

كان الحب قبراً دخلتُ إليه وخرجتُ

كان القبر نزهةً لراحة الأوردة

ومات النحو والصرف

وحُشرا بين يَديْ أول قصيدة كتبتها وآخر قصيدة

وأخذ الحَشْرُ يحكم ويَفْصل

يبرّىء ويَدين ←

لكي يأتي الليلُ

يشرد النهار خارج النهار

لكي يأتي النهار

يشرد الليل خارج الليل

لكي تحتفظ الأرض بذكرى العشب

تَتَغطّى بالقش

باسم جسدي الحي ـ الميت الميت ـ الحي

للجسد أن يفصل بين جسدي وجسدي

له أن يعتقل عضواً بعضو
يحارب خليّةً بخلية
له أن يزرع دمي ويحصده
وللجسد أن يكون جسدي
→ ضِدّ جسدي.

تعازيم

أ.

سلاماً أيها الجسد

أيها النغم أَخرَجَتْهُ اللذة ألحاناً سُرَّتْ بها

عَشقتها وطربْت إليها

ورتَّبت الأوتار الأربعة إزاء الطبائع الأربع:

الزِّير ⇔ المرّة الصفراء

المَثْنَى ⇔ الدّم

المثلّث ⇔ البلغم

البُمّ ⇔ المرّة السوداء

وأجرتِ الإيقاع في أنهارٍ لا تُحصى

سلاماً أيها الجسد

ب.

اقتربي، يا شجَرَة الزّيتون

اتركي لهذا المشرَّد أن يحتضنكِ
أن ينامَ في ظلك
اتركي له أن يسكبَ حياته فوق جذعكِ الطيب واسمحي له
أن يناديكِ:
يا امرأة!

ج.
«... ليلاً،
نخرج من أسرَّتنا
نذهب عاريات حتى أطراف القرية
نحمل قضباناً بلون التراب
نرشُّ فوقها الماء
نفترش الأرض الظامئة
... ثم يكون غيمٌ
ويكون المطر».

د.
استلقي، أيتها الجميلة،
فوق هذا العشب الجميل
ضعي بين فخذيكِ زهرة جميلة
وقولي لعشيقك الجميل

أن يزيحَها بعضوه الأجمل.

هـ.

تعرّي، يا شجرة الورد، التحفي بالقمر
انزل، ايها السيد القمر التحفْ بشجرة الورد
وضعنا لك سلماً
جعلنا قدم الوردة آخر درجاته
زيّناه بزهرٍ آخر
حفرنا عليه رسوماً
لأنواع الدِّيكة في البر
لأنواع السلّور في البحر
من أجل أن نشهد عرس السماء والأرض.

و.

أنتَ، يا من لاحقتْه امرأة
كانت تغطّي جسدها بأوراق المدرسة
وتلفّ رأسها بتويجات الورد
كان اسمها أميرة العشب
كان اسمها العيدَ
والكلام ←
أنتَ، يا من مضى،

ها نحن، حول اسمكَ
نتحلّق
نحسبك شجرةً
نكسرك غصناً غصناً
نصنع منك دمية نغطيها بالقشّ
نلقيها إلى الزبد

ونقول:
الزبد
هو
أيضاً
من
مفاتيح
البحر

ز.

هاتي خصلةً من شعركِ
اربطيها بهذا الغصن
اتركيها في عناقٍ مَدى الريح
في صورة عاشقين.

- ٩ -

سلاماً للفساد أليفاً كأنّه الهواء

مؤسِّساً كأنه البدء

سلاماً لآلاتٍ غير مرئية أُبتكرها لأبتكر أجسادي الأخرى

قلوبي الأخرى

سلاماً لكوكبي الجالس على طرف القيد

يتَّخذ من قدميَّ وذراعيَّ حدوداً وأعلاماً

سلاماً لوجهي   يتبع فراشةً تتبع النار

/ / هل أفصل نفسي عن نفسيَ

هل أجامعها / هل الجما

عُ لحظة انفرادٍ أم لحظة ازدوا

ج؟ هل آخذ وجهاً آخر؟ وما

ذا يفعل جسد تبقّعه جراحٌ لا تلتـ

ـئم؟ إنها الصحراء

تطبق عليّ، وها هو

الجرادُ يَحْتَنِكُ أطرافي//

اجلسْ، أيها الموتُ، في مكانٍ آخر
ولْنتبادَلْ وجهينا ←
أصنع نبضي نسْغاً لأبجديتي
أسوّيك الجلد
أسمّيك النظر
طعمَ الأشياء
وأعلن:
أنا المتوثِّنُ والهدمُ عبادتي.

وأقول باسمكَ:
ابتسمْ، أيها النهر، لجفافكِ
امرحي، أيتها الزهرة، بين الشّوكة والشوكة
وأقول باسمكَ:
في الرّماديّ أفتحُ جسداً أتجوّلُ في أرجائه
حيث يتمشّى قوس قزحٍ بخطوة الطفل
ويكون لخيالي أن يفترسَ عينيَّ
ويهدم الجسورَ بيني وبين ما حولي
ويكون لي أن أصعدَ وألتقفَ الهواءَ المحيط.

وأقول باسمكَ، هامساً لأشباحك:
أيتها العطور التي تفرز الرّغبة
تزيّني
واسْتهويني.

وأقول باسمكَ:
دائماً على شَفَا الجنون
لكنني لا أُجنّ.

أجلسْ، أيها الموت، في مكانٍ آخر ولنتبادل وجهينا
أُسمّيك الجسدَ وأسأل←
كيف أعيش مع جَسَدٍ أتّهمه
وأنا المتَّهَمُ والشاهِدُ والحكمَ؟
وأسميكَ جسدي
وأرى اليك   إليه يتفكّك ويتركّب
السّاعد فخذٌ
المعصم كاحِلٌ

اليد قَدمٌ
الكتف مِرْفقٌ
وما تبقّى غيرُ ما تبقّى
وأستسلمُ، أنا الراسخ،
كانهيارٍ ثلجيّ
عنقي تهبط في التّرقوة
وتهبط هذه في الصدر
ويهبط الصدر في ليل الرّدفين
والرَّدفان في شمس الأحقاء
وتكون الأحقاء رصاصاً يرسب في أطراف الساقين وتَتَنوَّرُ
بأعضائي
أعضائي.

وتقول باسمي:
أسميكَ عاشقاً
وجْهاً إلى الحيوان
وجهاً إلى النبات
وأصغي إلى هذيانك يطلعُ

في لهاث العناصر:

دال تاء

ـ بحسب حركاتكَ يجري أمري
والليل والنهار بريدي إليك
يتراكضان كمُهرين في سباق
كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليكَ هتكتني؟

واو نون

ـ كيف أقمع هوائجي
والحاجة إليكِ هتكتني؟
تبكين؟
ـ لا تحرق النار موضعاً مَسَّهُ الدمع
لذلك أبكي
ينبت القرنفل في الدمع
لذلك أبكي

وأمس قرأت: «كلّ شهوة قسوة إلاّ
الجماع ← يُرقِّقُ ويُصفِّي»
لذلك أبكي.

سين ألف

- ادخلي، كأنك نقبتِ الجحيم وخرجت منها
أو كأنك امرأة تشتري العطرَ بالخبز
أُحْصيك وأستقصيكِ
أُزمِنُ فيكِ وأكوكب حولك أعضائي
وكنت صادَفْتُ نفسي فيكِ
وحين تبعتكِ
قلتُ: النَّفْسُ يتبع بعضُها بعضاً.

لكن،
لماذا أنا كثيرٌ بنفسي قليلٌ بكِ؟
لماذا، كلما اقترْبتِ إليّ، أشعر كأنّ عضواً يسقطُ مني؟
مع ذلك، ادخلي

لا يزال جسدي رطباً بذكركِ
وكيف أقمع هوائجي
والحاجة إليكِ هتكتني؟

وأقول، باسمكَ، لجسدها:
جسدكِ صوتي أسمعه
نظري أتشرد فيه   جسدكِ رحيلي وكل خليّةٍ منطلَق
جسدكِ مرفأي وأضلِّل المراسي   جسدك الصخر يستبقيني
الغبارُ يطير بي
جَسدُكِ هبائي
ويظلِّلني
جسدك فضاؤكِ وأنا وحُوشهُ المجنّحة
جسدكِ قوسُ قزحٍ وأنا المناخُ والتحوّل.

وأسأل، باسمكَ:

أَصْحَرْتُ   لا مأوى
اسْتَأْسَنْتُ من يُطهّرني؟
من يعصمني من العبارةِ
تكدر،
من الإشارة
تضمحلّ
وكيف يتحرّر القفص؟

وتقول، باسمي:
أَبْدِع لجسدكَ ما يناقضه
كُنِ الهباءةَ والحصاةَ في جسدٍ واحد
أكمل جسدَكَ بنفيه
ولتكن اللّغةُ شكل الجسد
وليكن الشعر إيقاعه.

اجلسْ، أيها الموت في مكان آخر ولنتبادل وجهينا
أقول باسمك وباسمي:

نُضلِّل الحياة وهي التي تقودنا
ماذا أفعل
وجسدي أوسع من الفضاء الذي يحتويه
أنا الباحث
وليس أمامي غير الموت؟

ونقول باسمها وباسمك وباسمي:
تجوهرتُ بكِ
وكنت أطمح إلى التبدّد
وفتحتك بجسدي ⇔ لكن،
بماذا أختمك؟
ومع أنني مَشُوبٌ بكِ
فأنا شيءٌ لا يستند إلى شيء
ليس مربوطاً
ولا ملتحماً
ولا حالًّا
لكنني أسيلُ لا أقف
وجسدي رمًى إذ رمى

بقاب قوسين

وأنا الصَّحيحُ المريض برزخُ الجنس ←

استوليتُ

غلبْتُ الكَمَّ والكيف

فُتُّ ما يُقال

مع ذلك،

عييت من تصوّركِ على أنحاءَ ومراتب

وأعوذُ بأسمائنا من علم اليقين

(اليقينُ شَرَكُ الضمائر

والمعرفةُ

أن

تعلم ⇔ وتجهل)

هكذا أتحرّك في سلاسل جنوني وأنوّع الحلقات

هكذا أيّها الثابت

المتبدّل

المتصوّن

يا جسدي

وكذا

وكذا

وكذا

هكذا أسأل:

أنتَ صِراطي كيف أقطعك؟

أو

أسأل:

هل أنتَ حكايةٌ محرَّفةٌ ومكذوبةٌ عليَّ؟

هكذا،

أُنكر ما يفرّقني

وما يجمعني

وأقول باسمكَ:

أنا الماء يلهو مع الماء.

IV سيمياء

- ١ -

سيري، أيتها الحقول، بخطواتٍ من القَشّ
اخلعْ قميصك أيها الجبل
الضّوء يعبر وتعبر حشراته
الأدغالُ تعبر
وتعبر خواصِرُ التلال
وأنا
مكسواً بالزمن ورماده
يرميني الشجر من نوافذه
يتلقّفني فضاء تسيِّجه أفخاذٌ غِير مَرْئيّة
بين أمواجٍ من الثمر أبحث فيها عن بُرعمِ التيه
حيث ترفعني صارية اللّذة وتختلط الصخور بالأشرعة
حيث الجسد سِرْدابٌ والشّهوةُ قلعةٌ محاصرة
وأقول: سيكون فَضاؤُنا وحشاً أخضر
لكن،
أيها الحبُّ المقبل ـ الجسد المقبل
أين أُسكنكَ
وماذا أستطيع أن أُمنحكَ
غير ذاكرة الفراشات؟

أقواس ⇐

⇐

أ تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة الجسد
في الجسد وحلٌ
لوحله طيبة الورد
في الجسد ذلٌّ
لذلّهِ نكهة التّأله
هكذا بدأتُ من أظافر القدمين
يوم حككتُ بها جلدة الأرض
بين هواء دمشق وشجر قصّابين
ازَّيَّنَ النبات
فَكَّتِ الأرض أزرارها
هطل ماءٌ لا
أخذتُ غصن زيتونٍ
ورسمت على التراب دَوْرَةَ أحشائي
وقفت السماء جانباً وابتدأ هديرٌ كأنه بدء التكوين
ازْدَوجَ كلّ شيء واشتعلت أعماقي هجرةً وتَقاسَمْتنيَ
الأقاصي

تحت شجرة بشكل الذراعين
أُفقٍ باستدارة السرّة
ارتسمَتْ أوائل ممراتي
(لم يكن للفجر غير قمصانٍ تثقبها قرون الماعز)
وأخذ جسدي يفيضُ والطّرق لا تتسع
أخطو كمن يصل جمرةً بجمرة
هاويةً بهاوية
وفي ركبتيَّ تتكدَّس الجبال والسهول.

ب ـ تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة الشجر
كتبنا على جذوع الشجر لكنَّ الشجر لم يقرأ كتابتنا
رقدنا على العشب لكنَّ زَغَب العشب لم يأنس الينا
وكان الوَلَهُ يهجم علينا بجمره وأيامنا قَشٌّ رطب
ونسأل
وتسقط أسئلتنا في جرارٍ تنكسر
ويبدو الأفق طفلاً أغمض إلى الأبد أهدابه
وفي لحظات الحنين والحسرة
نلهج بأحوالنا

نتمدّد على الأرض
ونحفر في جسدها سُرّة صديقة...

جـ ـ تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة الفضاء
من أين لأحشائي هذه الوَسْوَسة؟
من أين لِقدميَّ هذا السَّمع؟
أنا الشاسعُ
وليس في الفضاء ما يملأ عينيّ
تَدحرجْ، أيها الشبح،
أيّنا الشراع أيّنا الريح؟
استمسك
استصرخِ المدَّ المدَّ المدَّ
استسلمْ
كُن الغَرقَ وخذني...

د ـ تخرج فراشةٌ تدخل فراشة والمسرح بهيئة الطبيعة
أتحوّل إلى طبيعة ثانية
وتنزلق بين فخذيَّ النباتات

كلُّ حجر حارسٌ يسهر معي

كل شجةٍ مظلّةٌ تتشبَّه بالجسد

(وأدخل في أبعاد ترشح من شقوقها البخارات

حيث تُطْبَخُ الحجارة

تكون منها الأمواجُ المختومة

وفَلَكُ الرّياح والمصابيح

وتكون السيمياء والحكمة).

رقعة من دفتر أخبار ←

مرةً،

بدأ الحبّ بقدمين

طوى الزّمنَ غلالةً وضعها تحت فخذيه

ومَدَّ الفرحَ وسادة

كان الموت جذعاً يتطاول

والحزن يثقب الأغطية.

رقعة من تاريخ سري للموت ←

لم يعد الفضاء إلا رقعةً تتبلّل بالقتل
ويَنسلها اليأس خيطاً خيطاً
لم يعد الهواء إلا نبضَ قلبٍ يتجه نحو الرماد
انكسر **عليّ** كضوء ينكسر
وبقيت كلماته تهذي وتطوف
وبقيَ هباؤه
يرسم انحناءةَ الشمس.

ـ «افتح قبرك في هباء كلماتك
واخلق لموتك جسداً».
سمعَ
آمَنَ
ولم يرَ.

- ٢ -

١٩٣٠ الشّمسُ قدم طفل

△ عرفت أقلَّ من امرأة

لأنني تزوجت بأكثرَ من امرأة

(ـ عرفتُ أقلَّ من رجلٍ

لأنني تزوجت بأكثرَ من رجل)

أَعْلَنّا:

الزّواجُ غبارٌ

لكن،

قد يتحوّل غبار الزواج إلى زهرةٍ من العشق

١٩٣٣ نبتة تشعل قنديلاً

١٩٤٠ طفلٌ يُعِدّ الغيم ينتظره الحريق

١٩٥٠ تمطر في أنحاء أخرى

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك.

△ الجسد أطول طريق إلى الجسد

□ هل اللمس للجسد وحده، حقاً؟

ستحظى بينابيع يأخذها غيرك.

١٩٧٥ سلاماً أيها الطفل

يركض النهر وراء مائه ولا يُمسك به

يبحث الغصن عن ظله ولا يراه.

سلاماً أيها الطفل

لا يقدر الجبل أن ينخفض

ما ذنبه؟

لا يقدر الورد أن يسقيكَ

ما حكمته؟

∞ سلاماً أيها الحيوان

أنت وحدك الملاك الأبيض.

لأجل مائدة العين

يستريح الشّوفان فوق سواعدنا

يتنزّه القمح

نربط الزمن بأجنحة العصافير نسمع نبض الحقول

يجاور قلوبنا

ونكاد أن نلمس الدم.

إنه الفقر يمطر فوق الزيتون
إنها الحقول تتبرَّك بثياب الملائكة
والبحر يبسط يديه لا يصل
والسماء تحمل الجرارَ لا تروي
وكنتُ أجريت أحلامي أنهاراً
وعلّقت كالصُّوَر أيامي
يتَّحد الصَقيع والسُّمانَى
ويجلس الوَرْورُ على الدّخان
وكان جسدي غيوماً تتراكم وتنتشر
حول أشجارٍ لها شكل شراييني
وأجنحةٍ لها شكل قدميّ
وها خطواتي تذوي وتزهر
ألمح يوماً بغرّةٍ تسترسل
وقميصٍ يتمزق،
يحلم أن يكون صياداً

ألمح يوماً يجلس على النهر
تجلس قربه صبيّةٌ تكتشف نهديها
ألمح يوماً يُجيِّشُ البروجَ

ويرفع رَايةَ الجَدْي.
والهواءُ هواء بفضل القرية
والبيت بيت بفضل الزيتون
انزعي غلالتكِ أيتها الأرض
الماء يعود مراهقاً من الشيخوخة
والنّبعُ يطير صوب العصفور.

ليس الفجْرَ، بل جرسٌ يتسلَّق الفجر
قلتُ للوسادة
وانحنيتُ من نافذةٍ بعلوِّ الصفصاف
أحييك أيها الصباح الحامل وجه **صنّين**
أيها الوجه الأقلّ غرابة من وجه **نينار**
طموح **صنّين** يُرهق الكلام
لتكن شاعراً أو مجنوناً
ولكَ ذراعان وساقان لكي تنسى
ها أنت
ها أنا
أين إملاؤك لأكتب؟

أين صمتك لأمنحك جسدي؟
اسْمِيَ الخيطُ
ينزل من الشمس   لا يعلق بك
أين وجهكَ لأصقل مرآتي؟
أين مرآتك لأرى أشباحي؟
أقصّ عليك تاريخاً بدأتْه يمامةٌ
أحمل اليك سريراً
فَرشَهُ النّهارُ ولم ينمْ فيه الليل

صنين -
سُمِّي هكذا بفضل الأيام
سماه الثلج   يقرؤه الغيم كل يوم
ولا تسمعه المدينة.

صنين -
سُميّ هكذا بفضل النسيان
اسألوا
أجزاءه الحزينة الباقية التي تتفكك كأجزائي

تُتابع سيرها في غيمةٍ
وتستريح في حصاة
اسألوا فصولَه ونباتاتِه
كلّ فصل جوقة
كل نبتة حنجرة

.

وأجلس معه وأهذي
يجلس الهذيان في عرشٍ طائر يحملني ويمضي
سلاماً، أيتها العجينة الصّلبة يا أحلامي
حملتُ خواطر تحمل الأزمنة
علوتُ حتى لامَسْتُ نجمة
وقطفت مع أرواد نبتةً بحمرة الخمر

كان حولنا عشبٌ يجوع وحَصىً يعطش
وتمنّينا
لو تُلْغَمُ الشمس بالماء
وكان صنّين جرحاً يتدفق ويُملي ←

رقعة في دفتر أخبار ←

أ. عَمّا يرد بقوة الوقت

وقف الضوء كجذع الصفصاف
يرى إلى الريح تجرّ الأفق
إلى الأفق يتخبط يُفلت من فخّ أخضر
أَخَذَ يحوّل الأشياء إلى كلماتٍ يَصْنع للكلمات شمالاً وشرقاً
غرباً وجنوباً
ويرجىء خطوط الاستواء
امتدّت عيناه سطوحاً وخرائط
يفصّل التّويجات
يلامس عنق الغصن وأسنان البرعم
يحتضن أحشاء الماء وخاصرة الوقت
وكانت أصابعه هي التي ترى

وكنت أرى إليه كيف يبدأ الموت منذ أن يولد
شعاعُه المتواصل هو نفسه موته المتواصل (الحب كالضوء،
موت متواصل منذ ولادته)
وكانت أصابعي هي التي ترى.

ب ـ عَمّا يفاجىء من الغيب

الشجرة أجمل غرفة لنوم العصفور
والغصن أجمل سرير
الحب يحتضن غائباً
يحمل موسيقى جسدٍ
يحمل القتل
تتخثّر الفصول ←
يكون للطفولة أن تموت وديعةً كبذرة القمح
للموت أن يهبَّ كنسيم بحري
يكون للبحر عينا صقرٍ يُحتضر
لا يقدر أن ينتهي لا يقدر أن يبدأ
يُطْعَنُ الصقر
وهو في رفيفه الأخير ليتوّج نفسه على الأوْج
دمهُ ينزف
ولا مُلْكَ له
الملكُ لنارٍ تهبط على أحشائه.

ج ـ عَمّا يجيء من جهة قصابين

لاحَقْتُ فراشةً

تطير في الاتّجاهات كلها

ولم تكن جاهلةً ولا ضالّةً

القمر حوذيٌّ يقود عربة الشهوة

الغيومُ قماشٌ

نرسم عليه أحلاماً

نرجو أن تتنزل مع المطر

أحياناً يَتَّسخ الضوء

كيف نغسل وطناً يتّسخ فيه حتّى الضوء؟

د ـ عما يرد بقوة الضوء

أيها الضوء،

خُلقتَ إلَهاً ويرفضك الظلام

ألهذا كنت العينَ الوحيدةَ التي خُلقت من أجل

أن تسكنها الظلمات؟

ألهذا كنتَ الخالقَ يلبس شكل الخليقة،

والماءَ

يتزوّجُ

شكل الإناء؟

- ٣ -

أمحو وجهي - أكتشف وجهي
الأشياء أقنعةٌ أخترقها
والعالم حولي أسارِير ←

ها هي قصَّابين
تبدأ كما يبدأ النهر وتتّجه إلى فاتحة البحر
يختلط ماؤها بمائه
تخرجُ مع سمكةٍ
تطيرُ في الليل تتندّى
تجلس مع سمكةٍ تقرأ
ولها قَرْنان يضيئان
تسافر مع سمكةٍ
ينبت بين كتفيها الزهر
وأحياناً ينبت الطحلب

ورأَتْ قصابين شجراً يطلع مع الشمس يموت حين تغيب
ورأت قباباً تسير على الماء

كانت أرواد تلبس مُلاءَةَ الفَجْر
تخلط الجناح بالسنبلة
والأحصنةَ بالقَصب
اختبئي في عباءة الموج
واتركي حول قدميك مكاناً للأرض
جسدٌ يستأنس يستوحش في رفَّةِ الهدب
شمسٌ تخرجُ من الحنجرة
أفقٌ يترك شفتيه على الأذن
جمعٌ بصيغة المفرد
هذه إشاراتكِ
هذه حروفي.

أَدخلُ في عتمة أغواري وأنتِ مصباحي
أَمنحُ يديَّ لطفل يتعثر سمّيته الحنين
وأسير إلى جوار ظلّي
أحمل حطب الضَّوء وأقول للزمن
أيها الرّمح استبسلْ

وجهي مجرّة الرمز
وجسدي عُرْجُونُ اللّغة
وها هي حياتي
قمقمٌ يتدافع في هَلَعِ المصادفات وهجمة الزبد

أمام المرآة ـ الماء أنعكس:
جسدٌ آخر يتراءى
النّرجس كنيسة الموت
والموتُ قدّاسٌ بلا صوت
من الزرقة إلى البياض ينتقل الموج
من النورس إلى الطمي تهجم الشواطىء
تاج الماء ينكسر
والزبد يَسْتردّ أسلحته.

لكن، أيها السيد الذي يحرس الموج،
لن تقدر أن تنساني
وجهي شهوة الأفق
وصوتي الهسيسُ الذي يتبطّن الموج.

وها هو الموج

عنقٌ يتجه نحوي أنا الغيمة ـ القلادة

وليس للتراب ندوبٌ إلا خطواتي.

رقعة من دفتر أخبار ←

حزنٌ يعبر أمامه لم يَره
ناداهُ
يرتعش ويلبس الرخام
مرآةً لحزنٍ رآه
لم يُنادِه
حزنٌ آخر
لكن لا جسدَ له
يَثِقُ بجسدهِ لا بفكره.

رقعة ثانية ←

الأرض حضورُه وهو غياب السماء
أَقْنَعَ كلماتِه أن تحتضن أحشاءَه
لم تحتضن شيئاً
ما قاله ليس منه
ما يحلم أن يقوله لا تتَّسع له الكلمات
يريد أن ينكسر
لكن كيف ينكسر ولم يَحْظَ باللهب الذي يُغريه؟

وكيف يُغريهم بلهبه
وهم يتخطّفون رماده؟

رقعة ثالثة ←

أسرع الطِّينُ أسرعَ وتَحوَّل إلى غبار
لا شيء لا شيء لا شيء
يلتصق بالخشب عموداً فقرياً لليله الرَّخْو
ويحلم
كيف
تناثر
عضواً عضواً ⇔ في شوارع استباحها
واعتقل أطرافها
ليطلق الحركة
طرطوس أرواد اللاذقية دمشق
صوته يعقرُ تاريخه
ووجهه الجَذْرُ والقَشّ
الحزنُ الذي يستأصل
والفرحُ الذي يؤصِّل

لا شيء لا شيء لا شيء
وبين **قصّابين** ودمشق
تسقط السماء مطراً بحجم اللوز:
اصعدْ أيها التراب ←
جَسدُه سُلمٌ
تبخَّرْ أيها الماء
جسده مهرجان إسفنج
اصعدْ
واشهدْ للمطر كيف يضاجع الأرض
كلّ عشبة مسحت أهدابها وقامت
كلّ حصاة اغتسلت وتهيأت
والزهر دَمٌ يملأ الثقوب.

رقعة من شمس البهلول ←

يبحث عن دَغلٍ يرفعه محرقةً
يطرح فيها أوائل نذوره وبشاراته
يقيم
لكل ما يشحّ
لكل ما ينطفىء
ولائمَ وأعراساً
ويدعو الحبّ

يسمع التعب يقول: أنا الصفحة الأخيرة
الصفحة الأولى
يسمع الموتَ يقول: أنا حِبْركَ الباقي

رقعة ثانية ←

يَسْتجلي شرقاً يغسل الضوءَ ويعلن:
لستَ حيث أنتَ بل حيث لا أنتَ
لا في النوم بل في الأرق
أَنِمِ النومَ
أَرِّقِ الأرق

ما لستَ يُدَمِّر ما أنت
دمِّر ما أنتَ
لِتبني من أنتَ
وابدأْ:
كنِ النَّردَ
كن ضربة النّرد.

⇐

فواصل

.

⇐

أ. أُمثِّل الجسدَ في سيفٍ
تسنّه اللذة
يضاجع الحزن.

ب. لكي أكونَ جسدي،
أسمّي نفسي الهباء
لكي أعرف، أنام
ولست في حاجةٍ إلى مكان
حاجتي إلى طريقٍ طريقٍ ←
تقدّم أيها الدخان
يا فرسي لعبور المسافات.

ج. أتكلم دون أن أتكلم
أسير دون أن أسير

أتغلغل بين الورقة وغصنها
الشيء والشيء
حين لا يعود يتميز
الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود
أصرخُ منتشياً
تَهدَّمْ، أيّها الوضوح، يا عدوّي الجميل.

د. . . . وسرتُ كأنّيَ الليل
ـ ما هذه الشموع التي تركض وراءك؟
ـ لعلها الشمس
لعلها الموت.

هـ. أعمالي باطلة
وأفعل دائماً كأنّي الحقُّ.

و. تخيلتَ أَنَّ لدوّار الشمس عينين وأنه يرى
قلتَ: أنا كذلك دوّارُ الشمس ←
← خرجتَ من حدّ الحيوان إلى حد النبات

هجرتَ مملكة الدم إلى مملكة الشيء
استوت لديكَ الأشياء يا دوار الشّمس

المجد نملةٌ
العائلة كهف
التاريخ دُكّان توابل.
وانحزتَ إلى الشهوة
وجئتَ من جهة الجسد والطبيعة.
ـ إذن، أسألنيَ الآن:
ماذا يملك الإنسان غيرَ موته؟

ـ ٤ ـ

يمحو وجه ـ يكتشف وجهه
لم تكن أمّه تعرف صنّين وهي التي قرأته
حجراً حجراً

اخرجْ، أيها الطفل، إلى الحجر ←
كلّ شيء يقودك إلى الحجر
الرمادي الأبيض الأحمر الأسود الأصفر الأزرق
الخمري الجاديّ

يهيمُ ينطوي
يتكىء يظمأ
يتأمل يبحث ← مثلك
وحين يلتصق بجذع شجرة أو بعشبة
يَتَنسَّك أو يَشْبق،
يتصاعد منه بخار التنهدات
أو يتسلَّل وينأى ← مثلك

وحين يجد نفسه وحيداً لا يقدر أن يتحرك

يستدعي إليه الجهات الأربع
والعمق والعلوّ
ويقول لما حوله أن يترقرق سراباً أو ماءً
يُخيِّل لنفسه أنه يتقمّص النرجس
وأن ظلَّه يعانده
وأنه يودّ أن يَتَّحِد بظله ← مثلك
وحين لا يقفز حوله عصفورٌ
ولا يسمَعُ همساً أو رِكْزاً
ولا يرى إشارة أو تلويحاً،
يَتَجهَّم ينقبضُ يأرق
تَضيقُ حنجرته
يتحفَّزُ ليسافر ليضيع
في دُوارِ الكَدْحِ والمرارات ← مثلك

وحين يرى ما حوله يتكلّم ويُصرُّ بأسنانه
يحلم أن يتحوَّلَ إلى فراشةٍ
ليكونَ له أن يَستبْشر

لأنّه صار في مثل هشاشتها
أكثرَ قابليّةً لأن ينسحق
ويهلكَ بغتة
عَفْواً
مثلها ← مثلك

وحين يكونُ موحشاً
ليس أمامَه غير الشمس
خشبة هذا العالم ومسرحه ومسرحياته
والممثلين، يَدخل في دورهِ
الهزليّ
الفاجع
الماجن
يداهن يصانع
يَطعن يداري
يتحقّق يتوهم
يُظلم يضيء
مثلها ← مثلك

وحين لا تمسك به يَدٌ
أو تنظر إليه عين،
تنفجر في أعماقه الحرقة
يحنّ إلى الدخول في الرعب كريشة النسر
رعب الأعالي
مصاريع الفضاء
الأشباح
التي تتزيًا بقلانس تشبه
رؤوس العصافير ← مثلك

الحجر مثلك
يمتزج بالغُبار والضّوء
يطرد الوجعَ وأطباق الدمعِ
يجعل النظر سيفاً أو رمحاً ←

حجرٌ يتلألأ يجذب
يقول للوجوه أن تُنَوّر فتنوِّر
للجسد أن يشطح فيشطح

حجرٌ بخارٌ في النهار
غبارٌ ضوئي في الليل
نومٌ على العين
دوارٌ تحت الرأس
صديق الحُبلى
ويوم تَلدُ
يجلس بين ثدييها

حجرٌ يتدلّى من عنق شجرةٍ ليمتلىء ثدياها ويكثر ثمرُها
ينمو في صدر غزالةٍ لتتزوّج الريح
حجرٌ تزاويقُ
طلاسِمُ
الأسْود قدرةٌ وسلطان
الأصفر جسرٌ لكل شيء
الأغبر كحلُ امرأةٍ على اسم رجل
رجلٍ على اسم امرأة

حجرٌ يفرز الشهوة

حجرٌ لا يغوص في الماء
حجرٌ يحارب النار
حجرٌ يلتفّ به الحزين
يتختّم   تزول أحزانه
حجر يتخلخل   يخرج منه فضاء
وتخرج الرياح
حجر يجلس تحت اللسان لكي لا يسكرَ الرأس
حجر منذورٌ لشهوة التيه ← مثلك ⇔ مثلك

أَنذرُكَ أيها الطفل لشهوة التيه
لتيهِ الشهوة.

رقعة من شمس البهلول ←

دخانٌ يتَنَكَّس

يتحامل على الهواء

لا يقدر أن ينتهي لا يقدر أن يبدأ

البحر يرفض البحر

الصحراء تنفي الصحراء

وللشمس أجفانٌ من الشمع.

رقعة ثانية ←

قلتَ مرة:

ذهبَ الحبُ   بقي الجرح

قلتَ مرةً:

أيتها الخطيئة ـ البراءة

أسمّيك أسمائي   أرسمك بوجهي

إذن ←

افتحْ شبابيكَ العافية واسمعْ ضجيجَ الأرجل

ثمة هواجسُ يتكىء عليها المشرّد ويسير في الأزقّة

ثمّة نهودٌ   شفاهٌ يتوضأ بها

والشمس إناؤه الذهبي

إذن ←
اقرأْ فاتحة الأفق
مُدّ يديكَ وأَخْرِجْ ما يتراءى
ادخلْ إلى مَداركَ واجلس في عبادة الحال

أنت السائح
لا ملك لخطواتك إلا جسدك
وقلتَ مرة:
أنا الذبيح وليس من يخالطني
وقلتَ مرة:
لونيَ الثلجُ
وأسير متوّجاً بالشمس.

تعازيم ⇛
⇚

أ . «نستدعيكَ
أيها القوي الذي حملته أمٌّ فقيرة
وولدته سراً من أبٍ مجهول
وضعته في سلّةٍ طرحتها في دجلة
لم تغرقها مياهه
أخذك التيار إلى بستانيٍّ
انتشلك
وربَّاك كأنّك ابنه
أحبَّتك عشتار
وأحببتَ الشعوب
نستدعيكَ:
الشعوب كلها في سلالٍ من القش
ولا ماء
بل نار...»

ب . «ـ مُتَّ؟

←

- موتي مخبوءٌ في المحيط
في المحيط جزيرة
في الجزيرة شجرة رمّان
في جذرِ الرّمانة صندوق
في الصندوق علبة بهيئة يمامَة
في العلبة كتاب
في الكتاب كلمة -
من يعرفها ويتفوّه بها
يعرف متى أموت
لكن، هيهات
هيهات...»

ج - «- كانت الأرض دجاجةً تبيض الذهب
ذَبَح الدجاجة وأكلها»

د - «تقدَّمْ،
أَسرِعْ أيها الثور الأسود -

اضربوا وجهه بالملح
غطّوا عينيه
واسألوه:
هل النفس في البدن أو البدن في النفس
أو
هل الشمس في الفضاء أو الفضاء في الشمس؟

- ٥ -

لم تكن الأرض جرحاً
كانت جسداً
كيف يمكن السّفر بين الجرح والجسد،
كيف تمكن الإقامة؟

أخذ الجرح يتحول إلى كلماتٍ
والجسد يصيرُ سؤالاً ←
.. وانكسرتْ عشبةٌ طلعت من ساقها فراشةٌ
طلعَ من رأسها برعمٌ بلون الشهوة
أضفتُ عنصراً لعنصر
مزجتُ الورقةَ بالجذع
الغصنَ بالطّين
وقلتُ: من هنا يَجيءُ المستقبل.

هكذا تنمو أشجارٌ تشبه البشر
ينمو بشرٌ يشبهون الغيم

وقلتُ: لي عرش صنّين
لصنّين سلطة الغيم
وأخذ يرنّ كالجرس
والشمس وراءه عنزة شاردة.

كانت الشمس تستدرجني ويغويني ماءٌ فيها
قلت أنزل بين الأغصان في موسيقى التّفاح والكرز
وجاء صوتٌ من جهة الكرز
ووفدت قمة صنين عاريةً
(صنّينُ جسدٌ يكسوه الغيم   تعرّيه الرّيح)

ضعوا خشبةً
ليتقدَّم ذلك الواقف
جلستُ أنظر
قمت   مشيت حافياً تحت مطرٍ يضحكُ
والهواء قصبة تبكي
سمَّيت الفضاء قدماً واتجهت نحو الطريق
«متى يبلغ العتبة» سمعت الريح تسأل الريح

«متى تُوضع الخشبة» سمعت الحجر يسأل الحجر
متى يخرج من اليوم
هذا الطالعُ كالعددِ وأسماؤه النار؟

لماذا تشحبُ، أيها العالم، في عينيه؟
هل وجهه يُحيِّرُ ويُعشي؟
انْصَدعْ
تشقَّق، أيها العالم، واهْوِ
أنت الورقُ وهو الشرارة
والجنون يلغم أحشاءه

غَنّى، كما غنَّى أصدقاؤه **الصعاليك** بين مكة ودمشق:
يَدكَ ليست لك لتقبض عليه
عينكَ ليست لكَ لِتراه
يسكنُ مكاناً غير منظور:
الحريّة.
أنت تعتقلُ الوهم
وهو

هنيهةً هنيهةً
يعتقل الزمن
ويرميه في حوض كلماته.

هل الريح تهرم؟
هل يتخبّط الأفق في بيت عنكبوت؟

كان صنّين يسمع ويرى
لم يتكلم تكلّمتْ أشياؤه
حين سمعتُ سلامَ الحجر
هرولتُ وأخذتُ أرتطم بالحصى.
انحنيتُ ألملمه
سمعتُ غناءه في كفّي
سمعت حنين شجرة يرتعش جذعها أمامي كالحوض.

قالت الشجرة: اقتربْ قالت قدماي: تباطأ
ورأيت صنّين ينام في سحابة

وسرعان ما استيقظ
وبين عينيه أحلام تَشبّهتْ لِيَ أنها أحلامي ←

أحلام ⇐

أ ـ «ينبجسُ مني ماءٌ يسقي شجرة رمّانٍ تصيرُ امرأةً
تخرج إلى جانب البحر
معها غَزْلٌ
فيه عقدٌ تشبه السّلّم
قالت كلماتٍ وصعدت
كانت تضع قدميها في الخيط
وتصعد
حتى غابت».

د ـ «سرتُ والمطر رذاذٌ بيني وبينه وميضٌ يشبه الصوت
كنت ألبس الأسود
كانت السماء تلبس الرماد
باريس برج إيفل ـ كنيسة السان ـ جرمان سرنا
باريس وأنا
كما تسير الغيوم في السماء
انصهرنا باريس، الغيوم وأنا
في عصفورٍ
جسده فضاءٌ

وجناحاه قوس قزح».

و ـ «وجهٌ بكاها يبدأ سيرته الأولى (أهي **قصَّابين**، أم هي امرأة؟)

من المطر البريء يتجه نحو الماء الوحشي

مددت جسدي إلى نهرها

ارتجفت أسماكه

عرفت أن أحزاني خارج الضفاف

وليس لجلدي وسوسة.

حملتُ قفيري وعدت

نرداً يتدحرج على سلالم الوقت

عصفوراً يجمد في قبضة الريح

زهرةً تختنق بين الحجر والحجر

أعيريه قدميك أيتها الدرب

الطفل يتعثر

وبين قدميه تحرنُ أحصنةُ الشوك».

ن ـ «ركضتُ في منعطفٍ

خَططتُ بيدي خطاً جلست فيه أتمتم كلماتٍ

تعلّمتها في طفولتي
غَشِيَتْني سحاباتُ سود
حجبت عني ما حولي
سمعت فيها أصواتاً
رأيت عظاماً تتناثر وتبكي
وسمعت شجرة تقول: هذه ليلة الوسوسة».

ي ـ «بئرٌ أقترب لأشرب
طلعت امرأةٌ قالت بلهجة آمرة: تزوّجْني
تزوجتها، وكانت...
بعد هنيهة، قالت:
سأعود حيث تركت نفسي».

س ـ «وقفت يدٌ على رأسي تحمل فأساً
أخذت تهدمني كأنني جدار
ثم جاءت يدٌ بنتني عضواً عضواً
وسمعت صوتاً: أنت الآن لا ينحجب شيء عنك
وخُيِّل إليّ

أنني أدحرج الظلمة بأصابعي
أراعي الشفق وأراعي جناحيّ
أبقى أياماً في حال الفناء
يغمرني التراب
وينبت عليّ العشب».

أ/أ ـ «جلست شمسي التي هي أيضاً شمس قاسيون
تقرأ الشعر قرب ضفة بردى
كدَّرت عليها الضفادع بأصواتهن
قالت: إما أن تَرْحلن
وإما أن أرحل
في الصباح لم
تبق ضفدعة
في النهر».

د/د ـ «ليلاً
تخرج أمي إلى الهواء
تدعو القمر أو ما يشبه القمر
وتنام معه في فراشٍ واحد».

أحلمُ
كلمة تلفظني وألفظها
ويسكن كلٌّ مِنّا في طَرف
أحلم
عادةً في أصابعي
قشعريرةً في قدميَّ
أحلم -
أنا الصخر يتدفق منه ماءٌ يقول
أبكي من الفرح
أبكي من الحزن
أحلم -
أشطر الكونَ
أراه جانبياً وأستريح
لكنني لهبٌ وليس لي زوايا
أحلم -
لماذا أحلم دائماً أن أدخل في غير الممكن؟
ألأنَّ دمي شبيهٌ بالحلم، أم لِأنّيَ الموت؟

رقعة من تاريخ سري للموت ←

فَقَدَ المكان والأثر

يكاد أن يفقد جسده

هو، الآن، رقيمٌ تنتقش عليه طلاسم

كدبيب النمل:

وأنتِ أيضاً ترفضينه أيتها اللغة؟

رقعة من شمس البهلول ←

ليس الرأس في الرأس بل في السرّة
غالباً يكون بين الساقين
أحياناً يذهب الشتاء ويبقى الصقيع
يجيء الربيع ولا يجيء الزهر
أحياناً يكون أيلول الخريف أيار الصيف
من الهباء يرتفع جسر الشمس.
من المطر تجيء جذور الوحل

رقعة ثانية ←

أعطيتَ لوجهك الصمت
لقدميك الكلام
لذلك اصطدمتَ بالجدران
واصطادَك فخٌّ
هيهات أن تُفلت منه، هيهات....

رقعة ثالثة ←

يلحق بالفضاء

يعيش عيشة الغيم

لأيامه رائحةٌ لا يعرفها من ملائكة الجسد غيرُ الطبع.

رقعة رابعة ←

لأنه يقف مع الجذوة وهي تتلاشى

تسكنه نشوة الغابة

لأنه يستسلم إلى ما يراه

يجد نفسه دائماً خارج أسواره

يلبس حُرِّية التّرابِ ويختار أعشابه

لأنه يعرف كيف يعرّي الشّعـاعُ جسدَ الوردة

يستطيع أن يكسوها

لأنّ جسده يوقظه

يتخذ الموت سريراً ويتوسَّد الليل

لأنه يعيش مهجوراً

يعرف أن يتسيَّج بالضوء

ويُقنع الريح أن تكون هندسته وأرقامه

لأنه يُدهِشُ

ينتظر من يقتله مشدوهاً به
لأنه ينجح دائماً
يفشل دائماً
منذورٌ
لكي لا يكون إلا طيفاً
منذورٌ
لكي يستبق ويُقال:
خطواته ليست له.

رقعة خامسة ←

ظَنَّ أنَّ الدائرة اكتملت
أَنَّ لهمومه قطباً آخر
لماذا تجيء بعده أيها الحزن؟
يعتذر إليكِ يا أبجدية
ويقول لا   نعم   لا
ويرتمي
يبسط راحة يده
يجلوها مرآةً يحدّق فيها

يسأله نفسه:

من أنت أيها السيد؟

من يقول لأدونيس من هو؟

رقعة من تاريخ سري للموت ←

يسأل لاجواب، فليكسر مرآة نرسيس
مرآة نرسيس ظِلٌّ كيف يكسر الظل؟
لكن، حين سأل
عرف أنَّ الإشْكال أكثر إبانةً من الإبانة
عرف أنه مكدودٌ بالفتنة مشبوبٌ لها
عرف طسم
عرف أنه المنادَى وأنه ينصرف
عرف أنه عادة ثانية وطبيعة خامسة وزمان رابع

لهذا
ولأشياءَ يرجىء ذكرها
وصفَ نفسه أنه الشّرق

لهذا
ولأشياء نسيها

سكنَ في لذة الخطيئة
وأخذَ ينشر علم الشهوة
لهذا
ولأشياء لا يذكرها
نزح إلى الظنّ
ولَابسَ الحيرة.

- ٦ -

من الرغبة والقصد
ركّبْتُ ماهِيّتي
مستقلاًّ ولي مُعين
تَامّاً وبي نقص
طالِعاً وبي غروب
منظوماً وكلّيَ انتثار
مقبولاً وما من أحدٍ إلا ويرفضني ←
قريباً ولا علامة لي
من الرغبة والقصد
ركّبْتُ ماهيتي
بعضي كلّي
ظلامي نوري
مهجوراً لا أستوحش
موصولاً لا أستأنس
آمِناً ولا طمأنينة لي
مَلِكاً مُلْكِي اليأس ←
من الرغبة والقصد
← ركّبْتُ ماهيّتي

يقيناً وظنّاً في صحنٍ واحد
تصريحاً، وشهادتي الرّمز
وقلت لعباداتي أن تكون بحثاً
وأن تكون جسمانية
وأن أُخْزَنَ فيها
حيث يكون مُنْقَلبي
وأبلغ أقْصاي

أكتب الأمور التي هي من جِنْس ما لا يُكتب
والتي ليست من جهة العادة
ولا من جهة ما يذكر
ولا تكون أفكار
بل شغف
ولا تكون حاجات
بل هواجس ورغبات
حيث يكون من أسمائي
ما هو مُظْهَر
وما هو مُضمَر

وما هو مُشْتَقٌّ لا يأخذهُ الحصر

حم، آلم

حيث أفرغ قلبي من أخبار الغير

أمحو الحدود

أقيم في المطالع

أغيب كثيراً أحضر قليلاً

لكي أحضر ولا أغيب

وتكون أشيائي مرموزةً

ولست أنا من ينطق بها

بل

حم، آلم

ولست أنا من يكتب

لا أكتب أَهْذي بحالي وشَأْني

أقولُ ما يغلب عليَّ

وما يجذبني إليه جسدي

لا أكتب

أُعلن تأويلاً لجسدي

وأغرق في خلافٍ معه

أو سوءِ تفاهمٍ

وأُعلن شرايينيَ أعراضاً للكتابة

لا أكتب

لماذا كلّما أوضحتُ ازددتُ غموضاً؟

لا أكتب

أنا المرضُ والكتابة سريري

لا أكتب

أبتكرُ المباهجَ وأشياءَ اللذة

أقذف بأهدابي إلى الأمام

وأنسى ذكرياتي

لا خير لا شرّ

لا شيء غير هذه الحركات الصعبة السهلة

البطيئة المسرعة

الحركات التي تشعّ من أعضائي

طينة واحدة كيفما شاءت
الخير شرٌّ بلونٍ أبيض
الشر خيرٌ بلون أسود
ولكل كلمةٍ جرْنٌ
فيه نستحمّ ونعيِّد
وأنسى وأصحّح:
أُنْسُوا تَصِحّوا

لا أكتب
أتحد بقشرة النهار
لأكون الصورة والشكل
لمعنىً
هو الموت، حقاً

لا أكتب
أتغيّر
أغيّر ما يغيّرني

غموضاً ، حيث الغموض أن تحيا
وضوحاً، حيث الوضوح أن تموت

لا أكتب
أستسلم كالطبيعة لِلخَفَرِ
أختبىء وراءه
وَشْيَ تردّدٍ
رَقْشَ احتمالٍ أو شَكّ
أَستسلم لِلبَشرةِ
الشكلِ
الصوتِ
أستسلم
وأرجىء المعنى

لا أكتب
أتناسل في غبطةٍ جديدة
هي غبطة أن أعرفَ حين لا أعرف

لا أكتب
أختبركَ أيها الجسد
الاحتمـال، الظلّ
الظّاهر، ما يلوحُ، الأرجح
الهيئةُ
المسطّح عُمْقِياً
أيها الجسد - الماءُ
تنزل في مجرايَ   تستقرّ
تصعد إلى محيطي   تَرْسبُ
أَصلُ إلى الحقّ فيك
أتحقَّق أن الجسد هو أيضاً حيث اللاّجسد

لا أكتب
أَختبرك أيها الجسدْ
أعيد ألحّ أكرّر
أزن أحوالي بأنواع الكم والكيف
تحيلني إليك
أنت مَرّةً جمود أجزائي

أنت مَرّةً غليانُ أجزائي
هذيانٌ يقول: الخيرُ كله في مجرّد الحياة
هذيانٌ يسأل:
متى صَحَّ اللاّجَسدُ لكي أعوّل عليه؟
فشلتُ في نسبتي إلى الألف
متى تنتهي نسبتي إلى الياء؟

لا أكتب
حجبتَني أيها الجسد بي
عجّبتني منّي
وكلما ازددت يقيناً أَنّ جسدي آفة جسدي
تطيَّبتُ بهوائي
أتلّهفُ عليَّ بي
أرجع إليَّ منّي

لا أكتب
قلبي يلتوي عليَّ

أجمع بينه وبين شفتي وعيني
أستغيث
وأُهَيْنِمُ أحشائي ←
وأعرف أنني لا أعلم
لكن، من أين أتعلم؟
وأنني أعلم
لكن، كيف أتكلم؟
وأنني لا أتكلم
لكن، لِمَ وكيف أستسلم؟

لا أكتب
أتشوقُ إلى ما لست منه
أنتسب إلى ما ينفيني
أعلن الخيبة راحةً وأقول: اليأس أحرى
وكلٌّ ما تبقّى خَزَفٌ
والخزَفُ شاهدي
يشهدُ فيّ
ويشهدُ بي

ويشهد عليّ

لا أكتب
أعاند نفسي كأنني عدوّي
وأنتظر فاجئة الغيب
مثلك، أيها العصر ـ الجسد ←
الجسد ـ العصر
أتناثر
أجدُ فيك ما أجده فيّ
بالاًّ مَرْضُوضاً
وسرّاً أكثر وضوحاً من العلانية
مثلك ← لا الإشارة تَصدقُ
لا العبارة تَتحقّق
وكلّ مستقيمٍ معوجّ

لا أكتب
أنا الفأس أحفر أنحائي

أنا الأرض ـ مكتوبةً
أعرف ما أنتم فيه
ولا تعرفون ما أنا فيه
وكلّ شيء يحول بيني وبيني
بيني وبين...

وزَمَمْتُ نفسي
وصرت أحصنَ
حصنٍ
بيني وبين...

لا أكتب
أنا الخَطَرُ
بحرٌ لا أتبع لا أقود
وأضلِّل حتى نفسي

لا أكتب
أنا حَطبك الأخضر، أيها الجنون
اقذفني في قعر الهاوية واستبْقني

حيث لا يقين

لا شيء

حيث يَنْقَرِض ما كنت

يَنْدرس ما أنا

حيث اليباس في القعر   النبع في القعر

حيث نتلابس و/ أو نَتَنَاهَب

أنا حرفُكَ الأول

أنت كلامي الأقصى

وأعود من الهاوية

قميصاً آخر

أرتّب أيامي بتخطيطٍ آخر

لأشياء الشعر

لا أكتب

لماذا

كلما

أوضحت

ازددت

غموضاً؟

- ٧ -

أمحو وجهي - أكتشف وجهي
أيها الأبجدية البائسة
ماذا أستطيع بعد أن أحمِّلك
وأية غابة أزرعُ بكِ؟

أتجرجر وراءكِ
أنا الجذرَ الوحشي

بين قدمي آسيا
حيث تعبر أفراسٌ لها أردافُ النساء
وكواكب تقطر البخور والتوابل
حيث السماء تمطر الجثث والآلهة

وأنتِ، أيتها الأشلاء الباقية من أحلامنا
تحوّمي حول صبواتِنا
أجسادنا نُتوء الطوفان
وليس في أنقاضنا غير المحيطات

والآن أول البحر
أنا الصارية ولا شيء يعلوني
والآن أول الأرض.

(بيروت ١٩٧٣ - ١٩٧٥)

الفهرس

صفحة